عامنا الرابع

☆

ان حياة الادباء في الحرب كفاح ، وحياة الصحيفة الادبية كفاح اشد وأعنف ، وفي ميادين متعددة . . . تكافح « الاديب » الابتذال الذي تروج له الصحافة الخفيفة بشتى وسائل الاغراء ، وتكافح العدوان الذي يرمى به العرب عن طريق الفكر وباسم الامانة العلمية . . . فهي اذن ، تتلمس الادب الرفيع والثقـافة العالية فتقدمها على ايسر سبيل ، من نحو ، وتهدف الى قومية سليمة ، على ضوء عقيدة استقلالية حرة ، وايمان عربي اصيل ، من نحو آخر .

واما كفاحها المادي للعراقيل التي فرضتها الحرب : من غلاء في الطباعة ، وندرة في الورق ، وضيق في قيود الرقابة ، فذلك مما يحس به كل قارىء .

وفي غمرة من هذا الكفاح ، ذي الميادين المتعددة ، تشق الاديب طريقها نحو سنتها الرابعة ، فتبلغها بعد ان ادت رسالتها — لا نقول على الوجه الذي تبتغيه ، ولكن — على الوجه الذي اتاحته لها الاحوال ويسرته الظروف ، ومن حولها اسرة كريمة تحيطها بالعطف والعون والتأييد .

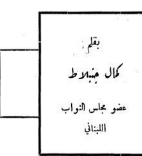
مرت في السنة الماضية ، الذكرى الالفية على مولد ابي العلاء المعري ، فساهمت الاديب بحظ وافر من الاحتفاء بهذه الذكرى ، لعل حكومة لم تقم بمثله : اخرجت عنه عدداً خاصاً ، ونشرت كتاباً مستقلاً ، واقامت مباراة عامة ، فكان من ذلك كله مجموعة فريدة من الدراسات التي خدمت علمـاً من اعلام الفكر العربي وكشفت النقاب عن آفاق كانت مجهولة عنه الى الآن . .

وكان هذا الكتاب الذي نشرناه عن المعري ، فاتحة طيبة لسلسلة جديدة من الكتب عزمنـا على اصدارها ، لتكون « للاديب » عوناً في كفاحها ، واداء رسالتها . ولن ترتبط هذه السلسلة بزمن معين تخرج حلقاتها فيه ، لئلا يتحكم بها الزمن ، فيضعف من قوتها ويخفف من صداها ، فربما صدر في الشهر الواحد اكثر من كتاب ، وقد تمضي اشهر لا يصدر خلالهـا شيء . . . ان ذلك رهن بوجود الكتاب الذي تقبل الاديب ان تقدمه الى قرائها بكل فخر واطمئنان . . .

ايها القارىء العربي

نبدأ ، بهذا الجزء ، صفحة رابعة من صفحات الاديب ، فيها اخلاص الصفحات السابقة ، وفيهـا المثابرة على خدمتك وإعداد الغذاء الفكري لك ، نقياً صالحاً ، وفيها تحفز للسنوات الآتية التي نترقبها باطمئنان وثقة ، حيث يتاح للاديب ، بعد انقشاع غيوم الحرب ، ان تحقق واجبها نحوك كاملاً ، لا يقف دونها عائق .

الاديب



غدنا الاقتصادي

« يجب ان تتمكن الكائنات البشرية من الحصول على حاجتها من المأكول والمشروب والسكن والملبوس قبل ان يتحول انتباهها الى السياسة والعلم والدين »

« انجلس »

في هذه الفترة العسيرة من حياة العالم – فترة تبدل وتطور وانقلاب علا فيها ضجيج المعارك الحربية والمشاحنات الفكرية والسياسية على كل صوت آخر – يفيدنا ان نتذكر النظرية التي جلاها للعالم انجلس وماركس في كتابهما الشهير « الرأسمالية » عن اهمية وربما اولية العوامل الاقتصادية في حياة الفرد والجماعات ... فاصبحنا نعلم عن يقين ان جميع مظاهر وشؤون حياة الفرد والمجتمع – المادية منها والخلقية والنفسية والثقافية والسياسية وحتى الدينية – تتأثر الى حد كبير بنظام البلاد الاقتصادي واحواله ودرجة تطوره ونفقه اليوم – اكثر من أي وقت آخر قوة ومدى شمول هذا التأثير على حياتنا العامة في حالات استثنائية متطرفة كالتي تنتج من وقت الى آخر عن تصاعد اسعار الحاجيات الفجائي والدوري في سوريا ولبنان في السنوات الاخيرة ...

ولا بد لنا ان نشير في هذا الباب الى المحاولات الطافحة بالامل التي قام ويقوم بها علماء الغرب امثال دركهايم وبوغلي وسغفريد وهاليفاكس الخ ... في سبيل تفسير بعض الحوادث الاجتماعية والتاريخية تفسيراً اجتماعياً واقتصادياً وديموغرافياً Démographique أي عن طريق نقصان او ازدياد عدد سكان بعض المناطق والممالك .

لنتعود اذن ان ننظر بغير العين التي تعودناها الى مشاكلنا الاقتصادية ولنرى فيها الدعامة الاساسية او حجر الزاوية لصرحنا السياسي والاجتماعي والثقافي والخلقي ، اذا ما راقنا ان نرى فيها كما يرى الاشتراكيون الكيان الخفي الباطن Infro-Structure للكيانات الظاهرة Superstructures التي تتألف منها مظاهر حياتنا العامة ..

في هذا الجو المشبع بالمشاحنات والمناظرات المتناقضة والمتطرفة وفي عالم تتراكم فيه – اكثر واكثر كلما قربت نهاية هذه الحرب – انقاض الممالك العريقة والعروش الاثيلة والانظمة الاجتماعية والاقتصادية التي تزول بين ليلة وضحاها كأنها لم تكن ، وسط هذا القلق النفساني الشامل والاضطراب الفكري المسيطر التي تتلمس خلاله الشعوب وجهة مصيرها وهدف تطورها ، يجدر بنا ان نتساءل ماذا اعددنا لبناء مستقبلنا الاقتصادي وماذا نريد وكيف نريد ان يكون هذا المستقبل !..

هل نكون رأسماليين متطرفين ، أم معتدلين أم اشتراكيين أم شيوعيين ، أم اشتراكيين وطنيين ، أم اشتراكيين ديموقراطيين الى غيرها من الاسماء الكثيرة ؟

واذا لم يكن باستطاعتنا الاجابة على هذا السؤال الضخم بنتائجه فلنتساءل على الاقل : « العالم ينهار وعالم جديد ينبثق من فجر الغد القريب ، فأين عدتنا بين بقية العدد واين فكرتنا وبرنامجنا وهدفنا بين بقية البرامج والاهداف ؟.. »

ليس هذا البحث الا محاولة بدائية لرسم بعض الخطط الاساسية لتنظيم الدول العربية الاقتصادي بعد هذه الحرب ... وهو على صغره ونقصه الظاهر والمقصود يفي ببعض المرام .

وسنبدأ ببيان موجز لبعض المبادئ الاقتصادية العامة التي يجب ان يرتكز عليها هيكل اقتصادياتنا في المستقبل ثم نعود لدرس مشروع التكتل الاقتصادي للدول العربية .

اسس عامة يجب ان ترتكز عليها سياستنا الاقتصادية المقبلة :

١ – ضرورة تطبيق مبدأ التسيير الاقتصادي او التوجيه الاقتصادي : économie dirigée ou économie orientée والعبارة الثانية ربما كانت اوفى بالمعنى المقصود اذ تتسع لانظمة اكثر تنوعاً واقل تضييقاً لحرية الفرد ، وكان قد اشار اليها الرئيس بول رينو الفرنسي قبيل نشوب هذه الحرب .

هو في الواقع النزاع التاريخي التقليدي بين ارباب فكرة تدخل الدولة في الشؤون الاقتصادية Interventionnistes وارباب مدرسة حرية الانتاج والاتجار التقليدية libéralistes ، هو النزاع الشهير يعود فيذر قرنه قبيل نهاية هذه الحرب .

على ان اتجاه الرأي العام العالمي واضح في هذا الشأن وهو لمصلحة مبدأ التسيير او التوجيه الاقتصادي كما نفهمه اليوم . فالديموقراطيات الكبرى والدول المحـاربة واكثر الدول المحايدة ايضاً رأت نفسها مضطرة للاخذ ببعض اساليب التسيير الاقتصادي (خاصة في حقل النقد وتجارة المواد الغذائية الهامة وغيرها من السلع) .

والديموقراطيات الكبرى ومعظم الدول في العالم تنزع اليوم الى التمشي على هـذا المبدأ بعد الحرب وترى فيه الدواء الناجع لمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية (مشاكل الانتـاج والتصريف والنقد وخصوصاً البطالة الخ) .

ففي تطبيق مبدأ التسيير او التوجيه الاقتصادي وسيلة لوضع حد بصورة نهـائية للتناقض الغريب الذي شاهدناه ابان ازمة سنة ١٩٢٩ بشكل مفجع ، هـذا التناقض بين كثرة السلع والبضائع المنتجة والمعروضة للبيع بأسعار تنخفض باضطراد مستمر من جهة ووجود ملايين من العمال العاطلين عن العمل في كل دولة من دول العالم يستحيل عليهم شراء هذه البضائع والسلع والتزود منها . فبينما كان ما يقرب من عشرين او خمسة وعشرين مليون عـامل مهددين بالمجاعة في جميع انحاء العالم كنا نشاهد ازمة مضطردة لازدياد الانتاج Crise de Surproduction في المعامل والمناجم والمصانع والمزارع ايضاً ، ولم يزل عالق بذهننا ذلك العهد الذي اضطرت فيه الولايات المتحدة مثلاً لاحراق القمح الاميركي او تحويله والبرازيل لاتلاف البن البرازيلي الخ . . . تناقض فاضح ومزعج ومعيب بين « البطون الفارغة والاهراء المليئة » بالمواد الغذائية والسلع كما قال بحق الاستاذ تيلاك في جملة شهيرة :

« Contraste des ventres creux et des greniers pleins »

(علم الاقتصاد السياسي للافرنسيين ص ٢٣—٢٤ سنة ١٩٤٣ للاستاذ تيلاك)

على ان الاستاذ بركي في كتاب له Les graudes puissances et l'organisation du ende سنة ١٩٤٣ ، يعتقد ان نظام العالم الاقتصادي بعد هذه الحرب سيكون مزيجاً منوعاً من مبدأ حرية الانتاج والاتجار التقليدية ومبدأ التسيير الاقتصادي ويرى الكاتب المذكور انه ربما كان لتعاونيات الانتاج وتعاونيات الاستهـلاك على اشكالها دور خطير ستلعبه في المستقبل Coopératives de production et Coopératives de Consommation كما يبدو ذلك من اختبارات العـالم الانكلوسكسوني في هذا الشأن وبلدان صغيرة كالدانمـارك وخصوصاً من اختبارات روسيا السوفياتية التي يرتفع عدد التعاونيات الاشتراكية فيها الى مايتين وخمسين الف تعاونية (حسب احصاء ورد في كتاب Theory and Practice of Socialism بقلم جون ستراتشي ص٥٥ سنة ١٩٣٧) والتي يظهر انها تضم ٧٥ مليون شخص أي ما يقارب ٤٤،٥ بالمـاية من مجموع سكان الاتحاد السوفياتي (مجلة الطريق : المزارع التعاونية عدد ٢٠ و٢١ ص١٠)

فعلى الدول العربية ان تأخذ — دون اقل تمهل — باساليب التسيير او التوجيه الاقتصادي ويجب ان يتناول هذا التوجيه جميع الشؤون الاقتصادية (النقد والتجارة والصناعة والزراعة الخ . .) كي نتلافى مشاكل اقتصادية كثيرة مقبلة ستحدث بعد الحرب من جراء تفشي البطالة وبدء ازدهارها وانتشار الصناعة على اشكالها في الشرق الادنى .

ولقد اقتبست الدول العربية كثيراً من اساليب التسيير الاقتصادي في حقل النقد كانشاء رقـابة على حركة تداول النقد واستيراده وتصديره وانشاء مكاتب للقطـع ومكاتب لمراقبة القطع الخ . . .

ولكن في بقية الشؤون الاقتصادية — اذا استثنينا بعض المواد التي تشملها الرقابة الحكومية (كالمواد الغذائية وبعض السلع التجارية الخ) فالحقل لا يزال يتسع للتدبير والتنظيم . . .

ولن ندخل في التفاصيل ولكن لا بد من التنويه الى ضرورة توجيه النشاط الزراعي الى انشاء تعاونيات للاستهلاك وربما للانتاج بشكل واسع . . .

٢ — مبدأ سرعة تداول وانتقال الاموال المنقولة وغير المنقولة : Mobilité de la richesse mobilière et immobilière

وهذا المبدأ يفضي الى توزيع الثروات توزيعاً عادلاً على الافراد والجماعات على اساس الاهلية الشخصية والجدارة .

اذ كما يلاحظ مستر جون ستراتشي في معرض نقده للنظـام الرأسمالي في اوربا واميركا ، ان هنـاك نزعة لاحلال الوراثة بدل الاهلية الشخصية . « ان الاستثمار الرأسمالي بدأ يتحجر It ossifies فكل عقد من السنين يمر يبتعد بالانظمة الرأسمالية عن الجدارة الشخصية فاذا بذوي الاستحقاق والمقدرة في خدمة الكسول ، والاحمق ، والابله

والفظ يأمر بينما الذكي والانساني يخضع ويطيع » .

من نتائج تطبيق هذا المبدأ مثلاً عندنا في الشرق :

— الغاء نظام الاوقاف الذرّية وغير الذرية التي تشكل في هيكل البلدان العربية « اجساماً ميتة » تعوق التقدم وتقف سداً في وجه التطور الاقتصادي السريع . ونظام الاوقاف هو في الواقع من بقايا او « متروكات » الاقطاعية في حقل الاقتصاد الوطني .

— تنشيط حركة التملك من قبل العمال والفلاحين الصغار وتشجيع انتشار الملكية الصغيرة بشتى الوسائل .

— مصادرة جميع الاموال والاملاك المهملة وتوزيعها على من لا يملك شيئاً .

— وربما يجدر مصادرة الثروات الكبيرة كما فعلوا اخيراً في فرنسا . . .

— يجب السعي لرفع مستوى العامل والفلاح وانقاص الفروقات الشاسعة التي تقسم البشرية في هذا الشرق الى فقراء مدقعين واغنياء مترفين وذلك مع المحافظة على التنوع في اساليب المعيشة . ومع العلم بان العالم يتجه الى احلال مبدأ المساواة الاقتصادية تدريجياً في الحياة العامة بعد ان تحققت فعلاً المساواة في الحقوق السياسية والمدنية . .

٣ — الاصلاح الاجتماعي :

وهو احدى الدعائم الكبرى التي يجب ان يرتكز اليها كيان الدول العربية الاقتصادي والسياسي .

سنترك لغير مناسبة بيان اسس هذا الاصلاح بشكل واسع، فليس من الفائدة تفصيلها الان ونكتفي بان نبدي الملاحظات التالية :

اولا — ان الاصلاح الاقتصادي لا يمكن ان يعطي النتائج المتوخاة اذا لم يقرن بتشريع اجتماعي عام والعكس بالعكس . .

ثانياً — يجب ان يهدف هذا الاصلاح الاجتماعي لاحلال العدالة الاجتماعية بكل ما في هذه الكلمة من قوة وشمول فعهد الترحم الابوي Paternalisme قد انقضى زمنه . . والعامل لا يطلب اليوم احساناً بل عدالة وانصافاً .

ثالثاً — يجب ان يأتي هذا الاصلاح على دفعات متتالية وكل دفعة يجب ان تتطلبها الظروف فلا تسبق الرغبة بل تطلبها الحاجة ولا تتقدم التطور الاقتصادي بل ترافقه وتسايره (من ملاحظة هامة لرئيس المكتب الدولي للعمل في جنيف)

رابعاً — يجب ان يكون الاصلاح الاجتماعي — الاقتصادي شاملاً جميع المرافق والا فهو محاولة فاشلة لا تأتي بالفائدة المتوخاة كما رأينا ذلك في دول اوربا الغربية قبيل ابتداء هذه الحرب الكونية الثانية .

مشروع تكتل الدول العربية الاقتصادي : يظهر ان تنظيم العالم الاقتصادي بعد هذه الحرب سيرمي في احد اشكاله الى انشاء عدة مجموعات اقتصادية كبيرة من الدول اطلقوا عليها اسماء شتى : اتحادات اقتصادية Fédération ووحدات اقتصادية وكتل اقتصادية Blocs économiques ونحن في مقالنا هذا سنحتفظ بالاسم الاخير نظراً لموافقته الوضع الحقوقي والاقتصادي الماثل .

ان نظام الكتل الاقتصادية سيشمل معظم المنتوجات التي لا تدخل في عداد بعض المواد الاولية الهامة — كالبترول والفحم والمعادن الخ . . — وهذه المواد الاخيرة سيشملها نظام عالمي خاص يبيعها لجميع الدول على السواء حسب احتياجاتها — وهذا النظام يسمونه دولية المواد الاولية

Internationalisation des matière premières .

وضمن حدود الكتلة الاقتصادية وبين الدول التي تتألف منها ستباح حرية التصدير والاستيراد فلا حدود جمركية تعوق الاتجار بينما تظل هذه الحدود الجمركية تفصل الكتل بمجموعها عن بعضها بعضاً . . . وتقوم بين هذه الكتل التجارة على اسس الانظمة المالية الحديثة — من مكاتب القطع Contrôle des Changes وتحديد كميات الاستيراد والتصدير وتصفية الحسابات الدولية عن طريقة الـ Clearing الخ . .

ويستهدف هذا التنظيم الجديد عدة امور منها :

١ — تخصص كل دولة من دول الكتلة الاقتصادية بالمنتوجات الزراعية والصناعية التي هي اخلق واجدر لانتاجها من غيرها من دول الكتلة . . . وينتج عن هذا التخصص الدولي توزيع اصلح للرأسمال والانتاج والعمل وبالتالي نشاط وازدهار لا نظير لهما في فروع الحقل الاقتصادي . . فتبرز الى الاسواق منتوجات تتفوق من حيث الصنعة والنوع بينما تنخفض بصورة محسوسة تكاليف انتاجها وبالتالي اسعار بيعها . . . ويفضي حتماً هذا الهبوط في الاسعار الى رفع مستوى الطبقات العاملة والمتوسطة في البلاد .

٢ — ومن نتائج هذا التكتل الاقتصادي توزيع اصلح للبضائع في اسواق الكتلة الداخلية ، او بالاحرى موافقة اتم بين الانتاج والاستهلاك وبين العرض والطلب . . . وهذا التوزيع الافضل — ان هو قرن بتنظيم اقتصادي داخلي لدول الكتلة — سيقضي حتماً على البطالة التي هي مشكلة المشاكل وستكون

مشكلة حقبة ما بعد الحرب كما كانت مشكلة العشر سنوات التي ظل العالم باسرها يتخبط فيها بيأس منذ سنة ١٩٢٩ الى سنة ١٩٣٩

٣ - تخصص الدول والتوزيع الافضل للمواد الاولية والمنتوجات كل هذا سيزيد توثقاً عرى التضامن النفعي والارتباط العاطفي بين دول المجموعة الاقتصادية وسينمي بينها علاقات جديدة لم يكن لها عهد بهـا من قبل … وسيرمي هذا التضامن وهذا الارتباط وهذه العلاقـات الى الحيلولة دون نشوب حرب جديدة بين هذه الدول . فتكون اثارة الفتنة قليلة الاحتمال بينهـا ان لم نقل مستحيلة النشوب .

وللكتلة الاقتصادية العربية خاصة فوائد ونتائج اخرى لا يصح ان نمر بهـا دون ان نعددها على الاقل — وقد ذكر بعضها استاذ الاقتصاد السياسي في الجامعة الاميركية الاستاذ سعيد افندي حماده ومنها :

١ - ان نظام الكتلة الاقتصادية سيسهل سبل الهجرات الموقتة بين الدول العربية (كهجرة العمال الفصلية مثلاً … وارباب الهجرة الفصلية هم اولئك العمال الذين ينتقلون من بلد الى بلد طلباً لاشتغال تكثر فيه في فصل معين من السنة نسبة لبعض المواسم الزراعية او الصناعية … وهؤلاء العمال لو ظلوا في بلادهم لكانوا اكرهوا على البطالة … (وهذا مثل على اثر نظام الكتل الاقتصادية في تخفيف حدة البطالة)

ويجدر بنا هنا ان ننوه بضرورة انشاء مكتب دولي في الكتلة الاقتصادية العربية لتوظيف العمال Bureau d'embauchage ومهمة هذا المكتب الاساسية عدا اعمال الاحصاء وغيرها التي يمكن ان يقوم بها ، ارشاد وتوجيه العمال الى حيث تتطلبهم الحاجة .

٢ - تسهيل حركة الهجرة الدائمة . . فنظام الكتلة الاقتصادية سيفضي الى تسهيل توزيع السكان بين دول الكتلة الاقتصادية فعوضاً عن ان يهاجر ابناء احدى الدول العربية المكتظة بالسكان كلبنان مثلاً ، الى بلاد بعيدة طلباً للعيش والسكن ينزحون الى احدى دول الكتلة المجاورة القليلة السكان … وكلنـا يعلم ان عالم ما بعد الحرب سيشهد مشكلة جديدة هي مشكلة تكاثر البشر وتوزيع السكان .

ويجدر بنا هنا ايضاً ان نشير الى ضرورة انشاء مكتب دولي في الكتلة لارشاد المهاجرين وتوجيههم .

٣ - ان مساحة الكتلة الاقتصادية العربية — وهي تقرب من مساحة الهند — واهميتهـا التصريفية تنشط ازدهار الصناعات بشكل واسع à grande èchelle فنحن نعلم من الخبرة ان الصناعات لا تنمو في بلد الا اذا اتيح لهـا ان تستند في توزيع وتصريف منتوجاتها الى سوق داخلية كبيرة … هذه نظرية ما يسمونه Internal Market .

٤ - متى وفقت الدول الصغيرة العربية الى ان تتكتل بهيئات اقتصادية كبيرة امكنها بصورة اجدى وافيد ان تؤثر في الاسواق العالمية وان تنال مثلا من الدول الاجنبية اتفاقات تجـارية دولية اكثر فائدة …

هذا وصف موجز ومقتضب لخطوط هيكل تنظيم العـالم الاقتصادي بعد الحرب ، هذا التنظيم الذي مازال يتطلبه الكثيرون من علماء الاقتصاد مستعيضين به عن حلم مدرسة حرية الاتجـار التقليدية libéralisme الذي يستهدف ازالة جميع الحواجز الجمركية بين جميع دول واقطار العالم — هذا الحلم الجميل الذي اثبتت التجارب انه صعب التحقيق بزمن قريب واليوم اكثر من أي وقت آخر بعد ان عصفت على بلدان الدنيا تلك الزوبعة الهوجاء من العاطفة الوطنية الضيقة والمتطرفة .

الى هـذا النظام كان يشير الرئيس الافرنسي بول رينو قبيل نشوب الحرب ملمحاً الى ضرورة انشاء كتلتين اقتصاديتين من رابطة الشعوب البريطانية والامبراطورية الافرنسية .

الى هذا النظام الاقتصادي ألمح المستر «كار» استاذ العلاقات الدولية والمحرر في التايمس في مقال له عن شروط الصلح Conditions of Peace (لندن سنة ١٩٤٢) قال مـا معناه : « ان اوروبا الجديدة التي يجب ان نخلقها حيث تتقدم راحة السكان ورفاهيتهم على كل اعتبار آخر ستكون وحدة اقتصادية . اننا ننتظر وضع برنامج لاوروبا وانشاء نقابة تعاونية للاصلاح والتعمير ومن الضروري ايضاً ايجاد بنك اوروبي . « ان المنظمات الحليفة الدولية يجب ان تستهدف تحقيق هذه الامور آخذة بعين الاعتبار نظام اوروبا الجديد الذي صمم وضعه هتلر . »

الى هذا النظام الكتلي اشار اللورد كيلرن سفير بريطانيا في مصر في شهر ايار سنة ١٩٤٣ على ما اذكر وذلك في حديث له اذ نوه خصوصاً الى امكانية ايجاد وحدة اقتصادية للقارة الافريقية .

وفي العدد القـادم سنتحدث عن اسس الكتلة الاقتصادية للبلدان العربية وهيئاتها العامة ، وبعض الملاحظات عنها .

كمال جنبلاط

فاتحة التجلي

■

كبرت ، تقول مازحة وترنو

اليّ بطرفها الغنج المدلّ

أما تعب الفؤاد من القوافي

ومن خفقانه في الحب ، قل لي

فقلت لها : الفؤاد فدى لحسن

يكاد يكون فاتحة التجلي

يفيض سنى على قسمات وجه

بأهداب العذوبة مستظل

ألا كفي الملام وزوديني

من الحسن العريق ولا تملي

فان الشعر حب او جمال

لعلي مائت بهما ، لعلي

يوسف غصوب

غدنا الادبي

بقلم خليل تقي الدين

✯

يخيل اليّ ان الادب العربي مقبل على انقلاب خطير ، وان النصف الثاني من القرن العشرين سيكون ، في تاريخ هذا الادب، « عهد لحاق الادب العربي بقافلة الآداب العالمية . » وقد تخلف عنها حقبة طويلة .

عندما تنتهي هذه الحرب ، ستغمر الناس موجة من جنون السرعة لا عهد لهم بها او بمثلها من قبل ، فيصغر العالم ، وتنهار الحواجز بين البلدان ، وتمحي الحدود . وستكون اولى نتائج هذه السرعة حرص الناس على تقوية وسائل التفاهم فيما بينهم ، وفي رأس هذه الوسائل اللغات . وسيفضي ذلك بهم حتماً الى احداث لغة عالمية مشتركة تخلقها الحاجة ان آجلاً او عاجلاً ، وتجيء اللغة العربية من هذا التطور زيادة في التبسط ، والتيسر ، والتسهل حتى تصبح ، ولا اقول تظل ، اداة للتعبير بوضوح وسرعة عن حاجات الانسان الحديث .

ويبدو لي ان تطور الادب العربي سيتناول ، في جملة ما يتناوله من شؤون ، مسائل كبرى اعرض لها ، فيما يلي ، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

١ – شفاء الادباء من « داء اللغة » : الغاية من اللغة ، في الاصل ، البيان والتعبير . وقد كان هذا القول يبدو من البديهيات لو لم نكن ، في الادب العربي، مصابين بـ « داء اللغة » وهو داء خبيث كالنقرس ، او السرطان ، او السل او اشد وادهى . ويخيل الي ان حب اللغة للغة نفسها كحب الخمرة . وكم في الكتاب من مدمني الكلام ، والسكارى بنشوة الالفاظ .

قد يكون اشد الاخطار التي يتعرض لها الكاتب العربي خطر التلذذ باللغة ، والتلهي بها عن المادة ، والموضوع ، والجوهر ، فاللغة العربية سحر سريع الفعل في النفوس . والاديب الاديب من استعبد اللغة ، وخلاها اداة طيعة بين انامله . فان لم يفعل ، او لم يقوَ ، ضحى على مذبحها بالفكرة ، والصورة ، ونبضة الحياة !

واري ان كاتب الغد سيشفى من داء اللغة هذا . ولا يعني ذلك ان الكتاب سيحطمون قيود الفصحى ويعبثون باصول البيان العربي السليم . من زعم ذلك فقد جدف وكفر . ولست ، بحمد الله ، من المجدفين ولا الكافرين . وانما المقصود ، والمأمول ، ان لا تطغى الالفاظ على الاديب فتستعبده ، وتصبح اللغة غاية بحد ذاتها يسعى اليها الكاتب ، ويقف عليها جهده ، فعل الكثيرين من كتاب العرب امس واليوم . ان الغد كفيل بالقضاء على هذا الداء الذي يستفحل في عهود الانحطاط ، كما ينتشر الجرب في ايام الجوع والضيق . سيعرض الناس، في غد من كل كاتب لا يغرف من ينبوع الحياة ، ويقبلون على الاديب الذي يغمس قلمه في النجيع الاحمر القاني !

اما علم اللغة ، فيظل وقفاً على المنقبين ، والباحثين ، واعضاء المجامع العلمية . . . ولا شأن للادباء به كغاية ، وان كان شأنهم به كبيراً كواسطة ، واداة .

٢ – تيسير اللغة ، وتبسيطها ، لتساير روح العصر وتفي بحاجاته وسيفرض القراء على الكتاب لغة عربية سهلة ، واضحة ، لا تقعر فيها ولا تعقد ولا تكلف . وسيخطو الادب العربي هذه الخطوة المرجوة بفضل اقبال القراء على هذا الكاتب واعراضهم عن ذاك ، لا بفضل الهيئات العلمية ، والمجامع اللغوية التي اخفقت حتى اليوم اخفاقاً ذريعاً في جميع الاقطار العربية التي قامت فيها . ويقيني ان لبنان سيعتبر بما حدث عند اخوانه ، وجيرانه ، فلا يقدم على محاولة فاشلة حتماً ،

ويريحنــا ، ويريح الادب العربي من هيئة اخشى كثيراً ان تأتي مأوى للمرتزقة ، وملجأ للمحنطين

سيحمل الغد اذن الى قراء العربية لغة سهلة ، واضحة ، خالية من كل ما يثقل الكتابة من حشو ، وحوشي ، وتزويق ، وسيحل الكتاب بانفسهم مشكلة التعبير عن الاغراض الجديدة ، والاختراعات والمستحدثات في نواحي العلم والفن . وذلك بان لا يترددوا في استعمال الكلمات الاجنبية لكل ما لا يستطيعون ترجمته . وقديماً اخذ الغرب عنا ، فليس يضيرنا ان نأخذ عنه اليوم . وانما يضيرنا ان نتأخر عنه وان ندخل معملاً ، او نزى آلة ، او نركب سيارة ولا نستطيع ان نسمي كل ما تقع عليه العينان ! وسيضطلع الشعب وجمهور القراء بمهمة ايجاد الالفاظ ، وفرضها على الكتاب . ولا بد للكاتب من الاخذ باللفظة التي يكرسها الاستعمال ، وان تكن عامية ، او محرفة ، فالعبرة في ان يسيغهـا جمهور القراء من ابناء العرب ، وان يقبلوا بها ويفهموها ، والايام كفيلة بصقلها بعد ان تتعودها الالسن والعيون وتألفها الاذواق . وهكذا تكسب اللغة الفاظاً كثيرة تغنى بها وتكون بمثابة الدم الجديد .

ويجب ان نصل الى يوم يكتب فيه الكاتب العربي دون ان يمد يده الى قاموس . ويقرأ فيه القارىء العربي دون ان يحتاج الى قاموس . وانا لواصلون اليه باذن الله !

٣ — تجاوز الادب العربي حدود الاقطار العربية وسيصبح الادب العربي ، من جديد ، ادباً عالمياً . ويكون شأنه في ذلك شأن سائر الاداب الغربية التي تفرض نفسها اليوم على القراء في شتى انحاء العالم .

واری ان اسباب ذلك تعود الى امرين . الاول ان طابع السرعة الذي سيميز نشاط عالم الغد سيكون من شأنه هدم الحواجز بين الشعوب ، وشدة اختلاط الناس بعضهم ببعض . وليس من المعقول ان يظل مائة مليون من البشر يتكلمون اللغة العربية ويكتبونها في عزلة روحية عن سائر امم الارض . والثاني ان حياة العرب العقلية والروحية التي سيعبر عنها الادب العربي في الغد ستعني العالم كله الى حد بعيد . فتكثر ترجمة الكتب من العربية الى اللغات الاجنبية . وليس يخاف ان الغرب كثيراً ما يعنى بنا بغية التغلغل ، والتسرب ، والابقاء على الظل الممدود ، فكيف اذا تشابكت المصالح في غد ، وتزاحمت الاقدام ، وتدافعت المناكب في هذا الشرق الغني بجوه وارضه ، وما في بطن هذه الارض من كنوز متحجرة وسائلة ، صفراء ، وسوداء !

ستعمل هاتان القوتان اذن على اخراج الادب العربي من حيز الاقطار العربية الى فضاء العالم كله . وسيفيد ادبنا من ذلك فائدة كبيرة وتستفيد منه سائر الاداب . لانه سيحمل الى جوقة الاداب الغربية المثقلة بقرقعة المعامل وضجيج الآلات لحن الصوفية ونغم الروح .

٤ — زوال ادب المقالات وثمة ظاهرة نشاهدها اليوم ، وهي صائرة الى الاضمحلال ، والزوال . تلك هي ادب المقالات . سيكون الغد شحيحاً بالالقــاب الادبية على نقيض الحاضر والماضي اللذين اسرفا في منحها اسراف بعض الدول في منح النياشين . فقد رأينا لقب الاديب يعطى جزافاً لكل من نشر مقالة في صحيفة سيارة ، كما يعطى لقب الشاعر لمن هنأ في عرس ، او عزى في مأتم . اما الغد فسيطلب الى الادباء ان يكونوا اصحاب رسالة ، او لا يعدهم ادباء . وسيحكم الناقدون على الاديب من خــلال مؤلفاته ، ويناقشون اراءه المبثوثة في كتبه ، ولا بد لمن شاء ان يجلس على مائدة الادب ان يكون صاحب تصانيف ، فان لم يكن عد في المتطفلين . وستلعب المطبعة في هذا الحقل دوراً كبيراً . فان انتشار المطابع الحديثة ، وسهولة اقتنائهـا بعد الحرب ، وتقدم صناعتها في اميركا واوربا ، كل ذلك سيحفز الكتاب ودور النشر الى الاكثار من اصدار الكتب . والزمن كفيل بالابقــاء على الصالح منها والقضاء على المبتذل السخيف .

٥ — ازدهار الفن الروائي والقصصي وسيكون الفن الروائي والقصصي الوسيلة التي يتوسل بها الكتاب الى نشر افكارهم ، وبث تعاليمهم في الناس . ويقبل قراء العرب عليها اقبالا يشجع المؤلفين ويحفزهم الى العناية بهذا الفن الناشيء في ادبنا العربي . واني مؤمن بان القصة وحدها هي التي تهدم الحواجز القائمة بين الاديب العربي والجمهور ، من جهة ، وبين الاديب العربي والحياة من جهة ثانية ، وقد عيب على ادبنا ، ولا يزال يعاب عليه ، انه ادب خاصة لا ينفذ الى صميم الجماهير . ومن ذلك كان اقبال الناس عليه دون اقبال جماهير الغرب على ادابها . والسبب في ذلك على ما ارى ان الادب العربي لم يستطع

حتى الان ان يعطي الجماهير صورة صادقة عن مشاكل الحيـاة التي يتخبط فيها الانسان العادي كل يوم . فاين في ادبنا كدح العامل، وبؤس الفلاح، وحنين المهاجر ونزوع الحر الى تحطيم السلاسل ؟ اين في ادبنا العربي، من مصر الى فلسطين، الى العراق، الى الشام، الى لبنان، صورة العربي المتململ في الاغلال، المتطلع الى الحرية، النزاع الى الاستقلال ؟ كل ذلك واكثر من ذلك خلا منه هذا الادب، فراح القراء يلتمسون صورة عنه في آداب الامم الاخرى التي اشبهت حالتها حالتنا في عهد من العهود .

سيصبح اكبر كتاب العرب في المستقبل روائيين وقصصيين، ويتأخر ادب الدراسات التاريخية ليفسح المجال للادب الروائي . وستكون مهمة الاديب اذ ذاك اكثر خطورة ومشقة منها اليوم. لانه لن يستطيع الاتكاء على التاريخ وحده للتأليف، بل لا بد له من الخلق والابداع في كل ما يكتب، او، على الاقل، في اكثر ما يكتب . فيخلق الكاتب ابطاله بدلا من ان يعالج ابطالا خلقتهم الحياة وخلدهم التاريخ . وشتان بين من يعنى بابن غيره، ومن يعنى بابنه وفلذة كبده !

٦ – تأخر الشعر عن النثر واذا نظرنا الى تاريخ الادب العربي، وحسبنا عصور الادب مضماراً طويلاً يتبارى فيه، خلال العصور، فرسان كريمان هما الشعر والنثر امكننا ان نحكم منذ الان ان الشعر سيتأخر عن النثر في الغـد القريب . فقد تقدم الشعر النثر اشواطاً كبيرة في الجاهلية وصدر الاسلام وبدء العصور العباسية . ثم اخذ النثر يتقدم رويداً رويداً، والشعر يتأخر، حـتى كانت النهضة فقامت على اكتاف الناثرين وظل اكثر الشعراء يعيشون في ظل الماضي . فلما كان القرن العشرون وضح سبق النثر لكل ذي عينين . ويعود ذلك لاسباب قد اتناولهـا في درس آخر . فاما اليوم فانت تعد في كل قطر عربي شاعراً او شاعرين على الاكثر وتعد عشرات الكتاب . أفليس عجيبـاً ان يقف بالامس صفوة شعراء العرب على قبر المعري فيقولون شعراً لا يستوقفك ولا يستهويك، ولا يهز نفسك ؟ اللهم الا ابياتاً في هذه القصيدة، واخرى في تلك، كوميض البرق في الليلة الظلماء ؟ وانت مع ذلك واجد قصائد طويلة عليها اثر الصنعة والتقليد، والنحت، وليس فيها ذلك الابداع الذي ينشده القارىء في الادب الحق

وكذلك يبدو لي ان الشعر سيتأخر عن النثر . فيكون النثر وحده مظهر الادب، ووسيلته الى تصوير الحياة، واما الشعر فيصبح فناً كمالياً . وليس في ذلك انتقاص للشعر، او حط من شأنه لان الشعر كان ولم يبرح فنـاً جميلاً كالموسيقى والتصوير والنحت، ولكن بعض الشعراء وبعض النظامين جعلوه، في اعين الناس، فناً غير جميل .

٧ – نشوء فنون جديدة في الادب العربي ويخيل الي اخيراً اننـا سننشىء في ادبنا العربي فنوناً جديدة، والواناً في الكتابة لم نقبل عليها حتى الآن الاقبال الذي تستحقه . ومن هذه الالوان الادبية ادب الاعترافات . وهذا الادب متصل اتصالاً جد وثيق بالادب الروائي والقصصي . اقول ان الاديب العربي لم يكشف حتى الآن عن دخائل نفسه، وحقيقة حياته، ولم يصور مشاعره، ونوازع نفسه تصويراً صريحاً، مخلصاً، لا خجل فيه ولا استحياء . ذلك لان طبيعته الشرقية تأبى عليه ان يفضي الى الناس بما يعتقده حرماً مقدساً وارى ان الغد سيحمل الينا ادب الاعترافات . وسيكون هذا الادب زاخراً بالحيـاة . ومن العجيب انك لا تستطيع ان تتعرف الى حياة أي اديب من ادباء العرب من خلال شعره او نثره . حتى ان الادباء المحـدثين انفسهم ترسموا خطى اسلافهم فاسدلوا حجاباً كثيفاً على حيـاتهم الخاصة، وحرموا القارىء من معرفة البيئة التي كونتهم، والظروف البيتية التي عاشوا فيها وكان لهـا في ادبهم وتوجيههم اثر . ولو ان ادباء العرب كتبوا اعترافاتهم ودونوا ذكرياتهم، لحلت مشاكل ادبية كثيرة، وانجلت قضايا عديدة ولاستطاع المؤرخون ان يكتبوا تاريخ الادب العربي على شكل اتم واكمل .

*

ليس الغد لاحد . الغد لله ! او كما قال الشاعر :

ترجو غداً وغد كحاملة   في الحي لا يدرون ما تلد

لكننا نستطيع ان نجعل غد الادب العربي مشرقاً زاهراً ان نحن عرفنا، في هذه الغمرة التي يتخبط فيها العالم اليوم، ان نأخذ مكاننا تحت الشمس، ونتكىء على ماضينا الغني المجيد، لنبني عليه مستقبلاً اغنى واجد !.

خليل تقي الدين



جنينة البنفسج

كذب الورد ... ليس للبنفسج في التحدّس شوك .

تقطفه باللمس والهمس ، فيذبل غضه ، وتجف نضرته ، ويغمض مشتهاك ، وتسأل عينك ، عن اذى الجنى ، اصابعك القاسية .

فيا عابراً ، مر بالجنينة لحاً ، بئس نهمك ، وخطف عينك ، وخطر منـاك ... ومن غيرك يقطف البنفسج من سوقه ، الخضراء ، الميّهة ، ليستنشقه بأنفه الطويل ، استنشاقاً ، كأنما هو زاد جديد ، في جفنة المائدة ، يعرض لتأكل .

لو كان البنفسج ورداً ، لعذرناك ، فأدمى ، وحده ، اصابعك ، وخدّش اخاديدك ، ولكنه بنفسج اعزل ، وسخي حييّ ، نما بمـاء الحشمة ، وطال في ارض الوداعة ، والتأمل ، يكره بهرة الضوء ، وقحة النهار ، ويقول لذكاء ، أرقّ ، شعاع النجوم في سكون الآفاق والطمأنينة ، والتمهل ، والترفق ، وفكر ازرق ، عميق ، يحبك اذيال الليل بحلقات الفجر النائم الى الابد وراء الاكمة .

هي جنينة من البنفسج زرعها ، آذار ، في التراب ، وسقاها من جرة القلب ، واباريق الفكر ، سقت الصبايا في الجبل ، عند السنديانة ، القرويين العطاش النازلين ، في الشفق ، من الكروم . ثم سوّرها بخمل من ضلوعه ، ولم يسمح للعين ، بوقع اللمس ، ولا للخاطر بالطواف حوالى الجدار .

... له منها ، في الاخذ ، شمة البعيد ولمحة الغريب ، وغصة هي كل ما حملته نفسه من الدماء ، وألوهة الجمال .

وما آذار لينكر فضل البنفسج ، ولكنه يكره الورد ، فقد رأيته ينثر ورقه ، ويذري طيبه ، ويطأ جفافته بقدميه ، وطئاً نشيطاً ، ويقول للربيع : لولا البنفسج لكانت خيوط ثيابك هشيماً كأزر الخريف .

... رأيته امس واقفاً امام باب الحديقة يتوكأ على العتبة الخشبية ويحلم في الانتظار .

ان بنفسجة زرقاء ستخرج من الارض لتقبل جبينه المثقل بالغبار وحباب الندى .

ايه يا آذار ، يا زارع البنفسج في كل زاوية من زوايا الجنائن ...

لي بنفسجة ، غضة ان تلمسها يدك ، وان يرفّها ظل من اطاريف جلبابك الملون .

هي ، ههنا ، معي ، بعيدة عن الدروب ، وتحسب الانوف معاول انتزاع ، وادوات قطف ، وانا كلما مرت بها عين آذاني الحياء . فجلست اتساءل في الغسق ، عن مساري الطيب ، حتى تضم الجوانح ، والقي على منبت الساق المغروسة وجهي الشامخ اعفر به ، حلم الليل .

هوذا الشتاء ، ابو القصف والخصف ، يا آذار ، والبنفسجة الغريبة ، قائمة حالمة ، في كل الفصول ، كأنهـا فاتت عقد الزمن ، فبقيت وحدها تراقب في حبات الزمرد ، المواكب ، المعطرة ، العابرة ، الى مدينة الامس .

عام ، وبعض العام ، وانا اقول للغيمة ، مثلاً ، امطري هنا ... امطري هناك ... كأن هم الغيث سقاية بنفسجتي وحدها .

... ويسقط المطر ويرتوي الثرى وتصفق الحشائش ، وينتعش النبات ، وتتهـامس الورود ، الوقحة ، بالسمر ، وحكايات المحبة ، وتظل هذه البنفسجة صامتة ، ساكنة ، متأملة ، متألمة ، تنتظر الغد ، وفي اعماقها سر ، لو ابوح به لكان لآذار ثوب جديد مسرج باهداب الجفن ، وشرائج القلب ، ومشرّع على صواري الحرف ، هذا « الملاح التائه » في هياكل الضياء .

*

ايه ، آذار ، كلانا يحرس البنفسج في زاوية الجنينة عند دور الناس . ولكنني لن اهرب مثلك في الشتاء من امام الرياح الباردة .

الياس خليل زخريا

غـــدنا العلمي

بقلم الدكتور

رئيف ابي اللمع

الاستاذ في كلية الطب بجامعة بيروت الاميركية

العلم لا يبني ممالك . والعلماء لا تحرس سلطان
غدنا العلمي وليد غدنا السياسي!

طلب اليّ الصديق الاديب ، صاحب مجلة « الاديب » ان اساهم في تحرير هذا العـــدد من مجلته الراقية ، فنزلت عند ارادته واشترطت ان لا يكون الموضوع الذي اكتب فيه سياسيـــاً او شبه سياسي . رحّبت بالفكرة اولاً وشاقني الموضوع ، وتسارعت الى مخيلتي اقوال العرب في العلم والعلماء يسابق بعضها بعضاً كأنها صور افكار تتعاقب على شاشة بيضاء . فذكرت كلمة الوليد بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف : العلم والعدل اخوان ، لا غنى للملك عنهما . الاول اساسه والثاني عماده .

وقول الاحنف بن قيس : اثنتان يبنيان الملك ويحرسان السلطان : الامراء والعلماء .

وذكرت آراء الشعراء في العلم :

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها . . . والناس موتى واهل العلم احياء . . .

وقول شوقي :

فآمنت بالله الـذي عز شأنه وآمنت بالعلم الذي عز طالبه

الى آخر ما هنالك من الكلام الجميل اللفظ والشعر الحسن الرصف .

ولكنني ما كدت اخط سطراً حتى وقفت حـائراً بين الحقيقة وبين الخيال ، والقول والعمل . فالتاريخ استاذ الحياة الاكبر ، الذي لا يخطىء ولا يداجي ، ولا يحابي ولا يكذب ، ينقض حكمة الاقوال ، ويعكس آية الامثال ويجعل النتيجة سبباً والنهاية مقدمة ، ويعلّم ان العلماء لا تبني ممالك ، والعلم لا يحرس سلطاناً بل هي الممالك التي تنبت العلماء ، والسلطان هو الذي يحرس العلم . فلا يكون علم ولا علماء حيث لا يكون وطن مستقل ، وحكومة قوية ، وأمن وحرية ، وراحة ورخاء .

*

فعدت قسراً الى بحث تجنبته اولاً واعرضت عنه . . . الى السياسة — قاتل الله السياسة .

يقولون ما دخلت السياسة امراً الا افسدته . فاذا صح ذلك تكون المعادلة المنطقية : ان كل شيء فاسد . اذ لا توجد ناحية من نواحي الحياة لا تدخلها السياسة . ومـــا هذا بالمذهب الجديد . بل هو مذهب سليمان الحكيم القائل : باطل الاباطيل قال الجامعة ، وكل شيء باطل .

ولكنه حكم ، نصفه عدل ونصفه ظلم .

فالسياسة تفسد وتصلح . وتبني وتهدم . وتغني وتفقر .

وكل ما في الامر هو ان تكون : سياسة غاشمة او سياسة رشيدة .

*



سيروا معي نسبر غور التاريخ من قديم ومن حديث ونستعرض صور اولئك الرجال الذين خطوا في كتاب العلم صفحة لا تمحى وتركوا في مراحل التقدم البشري آثاراً لا تبلى ، فنجدهم كلهم ابنـــاء عصور بلغت اممهم فيها ارفع درجة من القوة والنظام وتمتعت بأوفر قسط من الطمأنينة والرخاء . لان العلم لا ينبت الا في ظـــلال الاستقلال السياسي ، والفن لا يورق ولا يثمر الا في تربة الاستقرار الاجتماعي والازدهار الاقتصادي .

لقد ظهر ابقراط وافلاطون وارسطاطاليس حيناً وصلت اليونان الى ازهر عصر من عصورهـــا ، عصر فليب المكدوني وابنه الاسكندر الكبير . فكانت فتوحاتها العسكرية تتماشى جنباً الى جنب مع فتوحات فلاسفتها العلمية . فلما مات الاسكندر واقتسم قواده الاربعة امبراطوريته الكبرى واضاعت اليونان سيادتها وقوتها ونشاطها ، خبا نجم العلم فيها وذبلت جذوع الفلسفة التي زرعتها ادمغة ، قل أن

ظهر مثلها على وجه الارض . فما حمتها الفلسفة ولا وقاها علماؤها العثار

ولما انتقلت السيادة الى الرومان واصبحت روما سيدة العالم وقطب الحركة السياسية ومركز القوة العالمية ، نمت فيها العلوم وانبعثت الفنون وامتدت اشعة شمس العلم والشرع والهندسة والطب والخطابة والبيان الى جميع انحاء العالم المعروف وما زالت بعض حبال ذلك النور تشع حتى الآن .

وعندما غزا البربر روما وهزموا جيوشها ، واجتاحوا بلادها ، وحطموا تاجها ، سقطت علومها وفقدتها مع التاج ، فلا نرى اليوم من روما السياسة وروما العلم سوى الآثار والانقاض

وعندما بلغت الدولة العربية قمة عزها وسلطانها ، وامتدت حدود ذلك الملك العريض من الهند الى الاندلس وبسط العدل الاجتماعي والرخاء الاقتصادي اجنحته الذهبية عليها ، ازهرت العلوم في بغداد تحت راية العباسيين وفي الاندلس تحت راية الامويين ، فاحيا العرب فلسفة اليونان وتابعوا ابحاثهم فيها ونقلوا الى الغرب علوم الطب والكيمياء والفلك والرياضيات والادب والشعر . فلما غُلب العرب على امرهم وتداعت اسوار ملكهم وتشتتوا كل قطر تحت نير فاتح قوي ، انطفأت جذوة العلم في نفوسهم ومسهم الذل والفقر وخيم عليهم الخمول والجهل .

أوليس غريباً ان يمر الف من السنين لا تسمع خلالها صوتاً علمياً عربيـاً واحداً لاحفاد اولئك الذين ملأوا بطون التاريخ علماً وادباً ، ولا تقرأ لاحدهم بعد المتنبي شعراً ، والشعر روحهم ولسانهم ، وعنوان فخارهم .

وما النهضة العلمية التي بدأنا نراها اليوم الا صدى تلك النهضة السياسية التي بدأوا بها والاستقلال النوعي الذي تمتعوا به . ولولا هذه لما كانت تلك .

وفي الغرب كما في الشرق . فقد ظلت اوربا باسرها تتيه في فيافي الظلمة والجهل اجيالاً طوالاً . ولم ينبثق فيهـا فجر النهضة الا عندما تحررت شعوبها من نير الطغيان واستقرت حدودها واتسعت تجارتها وتمتعت بالحرية والقوة والرخاء .

العلم لا ينبعث الا في بقيع الحرية والاستقلال .

والادب لا يورق الا في رياض العز والمجد .

والفن لا يثمر الا في تربة الطمأنينة والرخاء .

ان ماضينا — البعيد والقريب — وحدة ذكائنا ، وصفاء سمائنا ، وعبير هوائنا يؤهلوننا لغد علمي رائع .

فاذا استطعنا ان ننشىء لنا وطنا عزيزاً مستقلا حملنا مشعل العلم في الشرق .

فغدنا العلمي وليد غدنا السياسي .

رئيف ابي اللمع

صلاة الناسك

■

يا ربّ قرّبني اليك وأبعد الشيطان عنّي
وابسط عليّ رواق حلمك واقبل الانفال مني
فلطالما أثمت يداي وغاص في الآثام ظني

●

ولقد تمرّ بيَ الخطيئة لونها لون التمني
غيناء ترفل بالشعاع كطرفة الحلم الاغنّ
تستلفت الانظار ، كالطاووس ، بالذيل الرفنّ
فأغض طرفي ، وهي تغريني بانواع التثني
وأكافح الاغراء بالتقوى ، وايماني مجني
واسلسل الصلوات رقيات على الليل الاجن
فتريع اشباح الخطيئة والرذيلة والتجني
بين الفرائض والنوافل والخشوع المستكن
ويطوّف الاشراق رقراقاً على وجه الدُجنّ
فأثوب مدفوعاً الى ربي بقلب مطمئن !..

●

ربي ... سألتك بالجمال محبباً في كل فنّ
وبسرّ ما ألقيت من عبر على انس وجنّ
وبروح هاتيك التي ضجت ، معتقة ، بدنّ
وبما امرتَ ، وما نهيت وما يريد الحق مني
لا تبعدني عن هواكَ ، وأبعدَ الشيطان عني!..

سليم حيدر



غدنا الفني



بقلم مصطفى فروخ

استاذ فن الرسم في جامعة بيروت الاميركية

ترددت كثيراً قبل ان تناولت القلم لاكتب موضوعي ، وسألت نفسي هل انحو في معالجته طريقة اهل العصر طريقة دبلوماسية مرنة فيهـا لباقة السياسي وكياسته ، ام طريقة الشاعر احلق في الاجواء فانال الثناء والاعجاب ؟ ام ابحث الموضوع على ضوء المنطق والصراحة ؟ وقد تغلبت الفكرة الاخيرة وقلت : لماذا اجور على نفسي واخدع قارئي واخرج في النهاية فاشلاً ، لم ارض الله ولا نفسي ولا الناس ! . وهذه هي لعمري صفقة المغبون .

واخيراً ما فائدة هذه المقدمات ، فلاتبعن رأي حكيمنا الريحاني : قل كلمتك وامش . وانا سأقول كلمتي وامشي ، ولا ضير علي ، ومتى كان الفنان سياسياً متحذلقاً يفرك يديه ويحك رأسه مخافة ان يبدي فكرة تجول في خاطره ؟ فما رجل الفن الا ابن الطبيعة يستلهم منها ومن ضميره الصراحة والحرية والصفاء .

وبعد ، من الحصافة لمعالجة هـذا الموضوع الواسع المتشعب الاطراف ، ان ابسط شيئاً من ماضي الفن وحاضره ليمكن الحكم على غده المنتظر .

ان المادة الفنية في هذا الشرق تكاد تكون عنصراً جديداً . ولهذا وجب علينا الرجوع اليها في الغرب والقياس عليه . فلو اننا بدأنا بايجـاز عن عصر الانبعاث الذي قامت على اسسه حضارة الغرب ، لوجدنا انه كان نتيجة لجهود جبارة بذلها ارباب الفن هيأت الفكر الغربي لقبول الحضارة واعدته لها . فالحضارة ليست طلاءً ولا حاجة تشرى من السوق . بل هي احساس وابداع ينبعث من صميم الامة ومن رغباتها . ولذلك راحت كل امة تفسح المجال لارباب الفنون على انواعها ليمثلوا احاسيس الامة وخلجاتها وكل ما يضطرب فيهـا من تأثيرات ليقيموا على اسسها كياناً وطنياً ذا شخصية صحيحة . ان للنهضات اسباباً جليلة فهي لا تقوم على الصدفة والتمنيات والهوى والمداورات بل لا بد لهـا من اعداد مراحل تتدرج اليها .

ولما كان هذا هو دور الفنون في الانبعاث والانشاء ، فما هي

العناصر الاولى وكم لدينا منهـا ؟ ومقصدي بذلك للحكم على مستقبل الفن في البلاد العربية .

معلوم ان الفن الغربي وليد الفن البيزنطي انشق عنه يوم آذنت ساعة الانبعاث والتجدد مستلهماً الطبيعة والفن الاغريقي القديم . وكان لحسن حظ هذه النهضة ان هيأت العنـاية لتحقيق هذا الانبعاث رجالا يدركون خطورة المشروع ويفهمون مقوماته كبابوات روما وامراء ايطاليا وملوك فرنسا الذين افسحوا المجال وبذلوا انواع المساعدات حتى اثمرت النهضة واينعت .

الماضي

واذا اردنا بعثاً فنياً ونهضة شاملة كان لا بد لنا من مرجع فني، واذا كان تاريخنـا السياسي من الاضطراب والابهام ما نعلم ، فان تاريخنـا الفني لا ريب دونه وضوحاً وصفاء .

فالباحث يكاد بعد الجهد يعثر على بقايا فنون مهشمة يتميز بعضها عن الآخر بشيء من النقـاء والشخصية ، لان الفن صورة صحيحة لتاريخ الامة ولنفسيتها ولمحة سريعة في تاريخنـا القديم والحديث كافية لتعطينا صورة عن مستوى الفنون عندنا وكم يرجى ان يكون مقدار صدقها وصفائها .

واذا استثنينـا الفن الفرعوني وبعض الاشوري وفن البناء العربي في عهد الازدهار بقي لدينا بقايا فنون هي مزيج تنقصه الشخصية والنقاوة . وكيفما كان الامر فان هذه الاثار بمجموعها بحاجة لغربلة ليختار منهـا الاحسن والاصفى شخصية . ثم انه لا بد من خلق وسائل لتحقيق ذلك لان الفن لا يستطيع القيام لوحده اذا لم تمتد اليه ايد قوية لشخصيات نافذة وحكومات مدركة تفهم اهدافها لتأخذ بيد النهضة المرجوة . فمن لنـا بشخصية عالمة كالبابا جول الثاني وآل مديسيس ودوق سفورزا امير ميلان وآل بربون ودوقات البندقية وملوك فرنسا وغيرهم ؟ من لنـا بملك او زعيم كفرنسوا ملك فرنسا يعود يومياً ده فنسي يوم نزل به الداء ، يسند رأسه فتفيض روح الفنان بين يدي الملك فيسلم الروح باسماً لهذا التشجيع الملكي النبيل ؟ من لنـا مثل البابا يسافر الى فلورنس ليسترضي ميكالنجلو الغضوب ليزين معبد سكستين ؟ ومن اين لنا ملك كملك فرنسا الذي بادر لالتقاط ريشة الفنان تيسيان عن الارض فيعتذر فيجيبه الملك مشجعاً : « لي الحظ ان التقط ريشة عبقري مثلك . »

ويرينا التاريخ في صدر النهضة ان حكام الغرب على مختلف مراتبهم قدادركوا قيمة الفنون وفهموا رسالتها الثقافية والاجتماعية، فاحترموا اربابها وقربوهم تاركين لهم الحق في وضع اسمائهم على انتاجهم . بعكسه في الشرق الذي ينظر الى الفن نظره الى المهنة ولذلك فان مقامه لم يكن مرموقاً وقلما نجد اسم الفنان مدوناً بجانب انتاجه حتى العمارات ولذلك كان تاريخنا الفني فقيراً، وهذا الاهمال دليل الاحتقار الذي كان يضمره له مكلفوه فهم ينظرون اليه كعامل قـام بعمله ونال اجره ، وما كانوا ينظرون اليه كمفكر يقوم بدور اصلاحي ، وان الاجر الذي يتقاضاه هو هـدية ورمز لان العمل الروحي التهذيبي لا توازيه اية قيمة مادية .

الاستاذ مصطفى فروخ بريشته

هنـا نقطة الاختلاف بين نظرة الغرب لرسالة الفن كمهذب اجتماعي وبين نظرتنا اليه كالهية وحرفة . وفي اعتقادي ان هذا التفكير لا يزال ويا للاسف عندنا منه بقية . ونظرتنا هذه الى الفنون هي من العثرات الكبرى في سبيل الفن . ولا بد من القول انه لا يكفي ان يصبح عندنا فنانون مجيدون للنهضة بل متى اصبحت الامة ايضاً راقية تنظر الى الفن نظرة فهم وادراك ، فالامر لا يتم الا بتقدم الامة والفنانين معاً . وللتدليل على فهم المجتمع الغربي للفن نذكر ان الفنان جوتو عندما عاد الى مدينة فلورنس عام ١٣٣٤ استقبله اهلها بمظاهرات التكريم والترحاب ودخل المدينة كأحد الفاتحين . وكان دفن الموتى داخل مدينة البندقية محرماً بامر الحكومة فلما مات المصور تيسيان خالف الشعب الامر ودفنوا فنانهم الذي خلدهم في اكبر كنائس المدينة .

ان الجيوش تزول والثروة تذهب والممالك تدول والوزارات تنهار بكراسيها امام دولة الفكر وسلطان الفن فيبقى على الدهر ، شاء المتعنتون ام أبوا .

لقد مر بهذا الشرق احداث واشياء كثيرة لم يبق منها شيء الا بعض اساطير وخرافات مختلف في قيمتها ... وبعض الالقاب والاوسمة الرخيصة .

ان الغرب عرف كيف يخلد حضارته رغم الثورات والحروب التي مرت به فان آثار مدنيته لا تزال بادية المعالم منورة الخطوط وفي بدء هذه الحرب اول ما حرص على اخفاء اثاره الفنية . اما اذا نحن بحثنا عن اثارنا نجد ان الحروب اتت عليها لان عقلية الفاتح الشرقي ضيقة في مجال الفكر ، فكانت تبرز نقمته بحرق الكتب والقصور واضطهاد المفكرين وهدم معالم العمران وذلك خشية ان ترفع اثار سلفه آي الفكر وهو يخشى الفكر الذي حاربه وبلغ مكانته عن غير طريقه .

وبعد ألم يزل مع الاسف للآن بقية من هذا التفكير الخطر ؟ فما يقع اختلاف بين مزارعين حتى يتباريا في حرق المزارع وقطع الاشجار . واذا شاهد احدهم زهرة قطفها او عصفوراً ألقمه حجراً او جداراً نظيفاً خف لتشويهه . لذلك صعب على الفنون ان تعيش وتزدهر فيبست وجفت ، ولولا عناية الله وضخامة اعمدة بعلبك لم نسعد برؤية هذه الاثار العظيمة اليوم، ولولا حظ العروبة، ولولا ان رحلت طائفة من العرب الى الاندلس لم يستمتع العالم المتمدن بروائع قصر الزهراء ومفاتن الحمراء ، ولكان اصابها من التهديم والابادة ما اصاب امثالها في بغداد ودمشق ولبنان ومصر وغيرها من بلدان هذا الشرق العجيب الذي يقوم ادراكه للحياة ان دولابها لا يدور حول الكسب وانما حول المتاع نفسه ويتمركز مجهوده كله حول اقتناص اللذة ولذلك تدنت قيمة المثل العليا وكل ما يتفرع عنها في دنيا الفكر والابداع .

لك الله يا طبيعة بلادي الجميلة ! فكأنما حظ الجمال الحرمان ابداً من الرفيق الكفوء النبيل !

ومما تجدر الاشارة اليه ان الفنون في الغرب وان تمركزت في القصور والمعابد فقد ظهرت ايضاً في مختلف الاوساط ومثلت نواحي كثيرة من حياة طبقات الشعب مما دل ان الفن كان للملايين ... وليس لاصحاب التيجان والملايين ... اما اذا بحثنا عن الفنون في مجتمعنا وجدنا انها كانت وقفاً على طبقة الملوك والامراء، تخدم لذاتهم وكانت لهم اداة تسلية لا اداة ثقافة وتهذيب ، وتاريخ موسيقانا اكبر دليل . ولهذا لا نجد بين ايدينا منها ما يدلنا عن حياة الشعب واساليب معاشه وتمنياته ومجالسه ، بينما نجد الكثير المتخم مكرساً لهذا المليك وذاك الامير مما ترك فراغاً مخجلاً في تاريخنا الذي هو في اكثره تاريخ ملوك وليس بتاريخ شعوب ...

قد يتبادر الى الذهن انني احاول تجريد هذه البقاع العزيزة علي من مزاياها وفضائلها ، كلا بل ابحث ناحيتها الفنية ، ولسوء حظي وحظ قارئي ، هذه المرة فقط ، لم اقع في تاريخنا الفني على الكثير من المفاخر ، وقد فضلت ان اصدقه الخبر ... ولا بد من ايضاح بعض ما مر في البحث وهو ان لوضع البلاد السياسي اثراً كبيراً في تكوين عقلية المجتمع يعود لاسباب فعالة تضيع في ثنايا التاريخ . ان المطلع على ما نزل بهذا الشرق العربي من الويلات والحوادث الفاجعة والحروب وموجات الاجتياح المتكررة وفقدان الامن وما تحمله اهله من مظالم وويلات قاسمة من سلب وقتل خلقت فيهم التحفظ وعدم الثقة والخوف وقوة الحيلة وعدم الظهور بالحقائق فاصبح يبدي احدهم غير ما في نفسه ويظهر في غير مظهره وهذه نتائج محتمة لهذه الاسباب .

كان هذا شأن الفنون عندنا في الماضي وبعضه القريب .. وقد عرضت لمحة سريعة عنها بقدر ما تسمح انا المخلفات التاريخية في هذا الشأن .

الحاضر

ان الهدوء النسبي الذي خيم على البلاد العربية في مطلع هذا الجيل وقد تنفس هذا الشرق الصعداء ، بعد ما مر به من ازمات سياسية واجتماعية محزنة ، سمح لظهور ومضات فنية شاحبة ، هي نتيجة منطقية لتفتح معالم الفن ونشره . غير ان هذه الومضات وان تك مدعاة غبطة فهي غير كافية وقد لا تعود اذا لم تساعدها ريح طيبة تزيل من افقها تلك السحب القاتمة التي تحول بكثافتها دون اشراقها شمساً باهرة النور وهاجة الشعاع .

ان تقدم شتى الاختراعات قربت بين اطراف العالم ، وهذه من الاسباب الفعالة في سرعة تقدم الفن لشدة ارتباطنا بالغرب . ففي مطلع هذا الجيل ظهر في لبنان ومصر بعض الفنانين درس في الغرب وعاد منه بقسط غير قليل . غير ان القصر والمعبد احتضن الفن لنفسه فلم ينل المجتمع من خيره شيئاً كثيراً . وكان اسلوب هذه القافلة من رجال الفن واقعياً وهذه سنة كل بدء .

انطوت صفحة اولى من هذه المرحلة وجاءت قافلة ثانية درست في الغرب واشترك بعضها في معارضه الكبرى ومنها من اكتفى بزيارته . واطلعت على تطور الفن وهو هناك في تطور دائم ثم عادت تحمل اسلوباً اكثر حرية واعمق ادراكاً لفهم الفن ودوره في الحياة

كعامل اجتماعي وليس بالمهنة المحدودة . فبرزت الى المجتمع بمعارض كانت حدثاً ثقافياً له اثره الفكري بما مثل من الوان محلية ومناظر وطنية بثوب شعري جميل . ثم تلته معارض اخرى نبهت في مجتمعنا الاحساس الفني فنتج عنه بحث وجدل لون حياتنا الفكرية بلون ثقافي جديد . وقد تميزت باساليبها منها الواقعي ومنهـا المتطرف ومنها النقل ومنها الحائر . وقد ظل الفن اقليمياً موضعياً لم يتحرك ولم يتعارف والفن كالماء العذب ان سار طاب وان جمد اسن ولكن السفر هو من شأن الحكومات لان القيام باعباء الاسفار لا يستطيعه رجل الفن والمفروض في الحكومات والاعيـان في هذا الدور ان يساهموا في العمل كي يسرع الفن في تقدمه . لا سيما وهم يعرفون ان الفنون رابطة اجتماعية تشد الاواصر وتؤلف بين الامم لذلك اتبعها الغرب واكثر منها .

ومن الانصاف ان نذكر ان بعض رجال الحكومات السابقة شجع الفن بارسال بعض افراد لدرسه في الغرب كما ان مما زاد في نشاط هذه الحركة ما نشرته الصحف من ابحاث فنية تبين اهميته الاجتماعية ومحاضرات ودروس رسم في المدارس ثم انتشار فن الكاريكاتور في الصحف كله خلق فكرة فنية في البلاد .

هذا مشهد عام يمثل بايجاز الحركة الفنية في البلدان العربية في طليعتها لبنان ومصر اللذان سارا شوطـاً محدوداً ثم تلاهما سوريا والعراق ببطء . وقد جاء مصر ولبنان بعض الفنانين الاجانب للكسب فاشتركوا عن غير هدف في هذه الحركة منهم من افاد ومنهم من اضر بها لمقاصد تجل الفن الصحيح عن الخوض بها . وقد تركت في فننا الفتي جراثيم مؤذية لا يزال يشكو منها .

المستقبل

ان الفن كالنبتة الطرية سريعة العطب اقل صدمة ترديها ولذلك ان اشد ما اخافه على فننا ان تناله امراضنا الاجتماعية ، وتمتد اليه جرثومة السياسة والمحسوبية فتشل نشاطه وتقتل حيويته وتذهب بالجهود السابقة . وارى وانا ارقب الحركة الفنية في هذه الاقطار منذ ربع قرن بعناية وحب ، ان هناك اتجاهـا به لغايات مادية وسياسية لم يخلق الفن لخدمتهـا والسياسة اقتل شيء للفن ، واني لا أطلب من فنانينا العمل بالمبدأ الذي سار عليه الفنانون في الغرب (الفن لاجل الفن) ونحن هنا في الشرق التاجر .. الحب للتحوير والتفكيك ... ولكن غاية ما اتمنـاه ان يظل الفن رسالة فكرية سامية وان لا ينزل به الى دركات الاستثمار والانانية .

تلك الانانية الحادة البغيضة التي كانت ولا تزال العلة الاولى في عدم نهضة الشرق ورقيه .

واذا قيس حـاضر الفن في بـلادنا بماضيه بـدا مستقبله شاحباً اذ ان هنالك ايدي تسير به الى السراديب المظلمة ناسجة على حواشيه عناكب الجشع سجفاً من الدعاوة لا يرضى عن مصير الفن من تجول في قرارة نفسه الحب له والغيرة عليه .

وعلاجاً عملياً تقوم عليه نهضة غدنا الفني المنتظر اقدم هذا المنهاج تبرئة للذمة وللتاريخ :

١ — على الحكومات الوطنية ان تقوم بتثقيف الناشئة ثقافة فنية في المدارس عامة بتعليم الرسم والتلوين وتاريخ الفن .

٢ — ان تخصص الحكومات منحاً للمجلين في المسابقات الفنية .

٣ — ان ترسل بعثات من الشباب النابغين بعد مباريات رسمية الى الغرب للدراسة .

٤ — اقامة معارض دورية تشتري منها الحكومة بواسطة لجنة محايدة اللوحات المتفوقة .

٥ — انشاء متاحف دائمة يؤمهـا الجمهور ليتثقف ويألف فهم اللوحات ويتملى من روعة مناظر بلاده وتاريخها المتجلي في روائع اللوحات التاريخية التي تمثل عادات الامة في شتى مراحل تطورها السياسي والفكري .

٦ — ان تؤلف لجنة فخرية من اعيان البلاد لحماية الفن وتشجيعه .

٧ — اقامة معارض سنوية عامة تشترك فيهـا البلدان العربية عامة لتمكين اواصر المحبة عن طريق الشعور بالجمال .

هذا ما خطر لي ابديته بصراحة وارى انه عندمـا يتكامل تثقيف الامة بمجموعها ثقافة فنية ويدرك خطر الفنون وما لها من تأثير في اخلاق الامة ونضجها الفكري وانسجامها الاجتماعي الذي هو من اولى مظاهر الحضارة . نقدم عندئذ الدليل على اننـا امة متمدنة لها من خلقها العميق ما يصح ان تفخر به بين الامم الراقية لان الفن هو المقيـاس الحقيقي لرقي الامم . هذا هو المنهاج الذي ستشرق منه شمس غدنا الفني واني اجد خير ما اختتم به مقالي كلمة للفنان الحكيم بول سيزان : « ان عبء الكمال ملقى على كاهل الانسان لا على الطبيعة فمن واجبه اذاً ان يكون نفسه بنفسه . فالطبيعة وهبته العقل والسريرة ونعمة الروح فاصبح في استطاعته ان يكمل هذا الهيكل الجميل او ان يفسده اذا شاء .»

مصطفى فروخ

طرائف في اوائل

بقلم نور الدين بيهم
امين المخطوطات بدار الكتب الوطنية

اول مدرسة في لبنان

اقدم مدرسة وطنية في لبنان هي مدرسة دير الشرفة لطائفة السريان وكان افتتاحها سنة ١٧٨٣ على يد البطريرك ديونيسيوس الحلبي ويعلم فيها من اللغات العربية والسريانية والطليانية . ثم مدرسة عين ورقاء ١٧٩٣ للطائفة المارونية وقف المشايخ آل اسطفان . افتتح التدريس فيها على يد المطران يوسف اسطفان[1]

اول مطبعة

هي بلا شك مطبعة دير قزحيا الواقع جنوبي طرابلس وشمالي اهدن من اعمال لبنان وهي ايضاً اول مطبعة دخلت البلاد الشامية الا ان اخبار هذه المطبعة مجهولة لا يعرف من امرها شيء .

وقد حاول الاب لويس شيخو[2] ان يعرف عنها شيئاً من رهبان دير قزحيا فلم تفده الجائه . وكانت حروف هذه المطبعة سريانية وكرشونية وعربية . وهي من اوائل القرن السابع عشر واما الشائع والمتداول بين الناس ان اول مطبعة لبنانية هي مطبعة الشوير لمنشئها عبدالله زاخر فخطأ والصحيح ما قلناه اعلاه .

اول معمل ورق

انشأ في مدينة انطلياس من ضواحي بيروت سنة ١٨٨١ — ١٨٨٢ افراد من آل ثابت وباحوط معملاً للورق وكان مجهزاً باحسن آلات فن هذه الصناعة في ذلك الزمن ويعد من ارقى معامل الورق بين البلدان الراقية .

وحين تأسس هذا المعمل بدأت البلاد التي كانت تورد الورق لبلادنا بمزاحمة معملنا هذا وقد انزلت اسعار الورق في هذه البلاد واغرقت به الاسواق التجارية لدرجة ناء معمل ورق انطلياس بتحمل الخسارة الفادحة التي كانت تنتابه من جراء هذه المزاحمة[3]

وقد بقي معمل انطلياس يناضل مدة سنتين وهو يورد للاسواق المحليه في بيروت ويرسل للبلدان المجاورة من ورقه الى ان وصل من حالة العسر المالي والتضحية والخسارة الى حد لم يعد بامكانه متابعة العمل فوقف صناعته ويا للاسف مرغماً مضطراً .

اول كتاب

لا يعرف لمطبعة دير قزحيا من الكتب العربية الا كتاب واحد طبع في هذه المطبعة سنة ١٦١٠[4] وهو كتاب المزامير طبع على قطع كبير بعمودين سرياني فعربي عدد صفحاته ٢٦٠ وفي آخر المزامير الشائعة مزمور خارج عن العدد وهو الـ ١٥١ لا وجود له في التراجم الشائعة اليوم .

وفي صدر هذا الكتاب صفحة حروفها سريانية بلونين احمر واسود يحدق بها اطاران في وسطها نقوش ناعمة وفي اعلى الصفحة بحرف كبير البسملة وعنوان كتاب المزامير يليه شرحه بالعربية .

اول جريدة

حديقة الاخبار

اصدرها خليل الخوري اللبناني في كانون الثاني سنة ١٨٥٨ في بيروت[5] وكانت حديقة الاخبار المظهر الوحيد للرسائل العمومية والانباء المفيدة وتنشيط الناس على اقامة المدارس وتعميم الزراعة وترويج الصناعة وتحسين التربية والاخلاق والعادات . وقد حافظت في جميع ادوار حياتها على مبدأ الاستقامة والعدل وحب النفع العام .

ولما حضر فؤاد باشا الى سوريا سنة ١٨٦٠ خصص حديقة الاخبار بخدمة الحكومة واتخذها بمثابة جريدة نصف رسمية وقد عين لصاحبها بارادة سنية سلطانية راتب شهري قدره عشرون ليرة عثمانية اعانة على نشرها .

وعلى اثر وفاة مؤسسها ٢٦ تشرين الاول ١٩٠٧ تحول امتياز الحديقة الى اخيه سليم وقد اتيح لصاحب امتيازها الثاني ان يحتفل بيوبيلها الذهبي في ١٣ كانون الاول ١٩٠٨ بحضور اركان الحكومة واعيان المدينة ومشاهير حملة الاقلام فيها وهو اول احتفال رسمي قامت به جريدة عربية لمرور خمسين سنة على تأسيسها .

---

(١) مجلة الطبيب سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ ج ١١ ص ٢١٨

(٢) مشرق مجلد ٣ ج ٨ ص ٣٦٠

(٣) تكرم علينا بهذه المعلومات العلامة المحترم الاب اسحق ارمله فلحضرته الشكر .

(٤) مشرق مجلد ٣ عدد ٦ ص ٢٥٤ .

(٥) تاريخ الصحافة العربية ج ١ ص ٥٥ — ٥٧ — ٥٨

اول مجلة

هي « اعمال الجمعية السورية » اصدرتها «الجمعية العلمية السورية» في بيروت في ٦ كانون الثاني ١٨٥٢[٦] ثم انقطعت عن الظهور واصدرت عوضاً عنها الجمعية المذكورة مجلة « مجموعة العلوم » في ١٥ كانون الثاني ١٨٦٨ وكان صدورها مرة في الشهر يختلف باختلاف اوقات التئام الاعضاء فظهرت منها في السنة الاولى عشرة اعداد وفي السنة الثانية سبعة اعداد آخرها في ٢٥ ايار سنة ١٨٦٩ ثم احتجبت[٧].

اول جمعية

الجمعية العلمية السورية

انشئت هذه الجمعية قبل ١٨٦٨ وغايتها تنشيط المعارف وتعزيز شأن الآداب وزيادة انتشار المدارس لتنوير اذهان الشعب وارتقاء الامة وكانت عمدتها مؤلفة من الادباء والاعيان الآتي ذكرهم :

(الرئيس) الامير محمد ابن الامير امين ارسلان . (المميزون) الحاج حسين بيهم وسليم البستاني وحنين الخوري . (امين الصندوق) رزق الله خضرا (المصححان) المركيز موسى دي فرييج وسليم رمضان (الكاتبان) عبد الرحيم بدران وسليم شحاده (مدير الاشغال) حبيب جلخ (امين المكتبة) يوسف الشلفون .

وفي ٢٠ كانون الثاني ١٨٦٩ انتخبت الجمعية عمدة جديدة فاصابت الرئاسة الحاج حسين بيهم وعين سليم البستاني لنيابة الرئاسة وانضوى تحت لواء هذه الجمعية كثير من الوزراء والاعيان وحملة الاقلام في بيروت واستنبول ودمشق وبلدان كثيرة كالقاهرة والاسكندرية وغيرها من المدن الشرقية . وخلفت هذه الجمعية آثاراً معتبرة مفيدة .

اول بعثة علمية

في سنة ١٨٣٧ حضر الى بيت الدين من مصر الطبيب كلوت بك رئيس اطباء الديار المصرية في عهد محمد علي وحل ضيفاً في دائرة سراي الامير بشير الثاني فطلب الامير من ضيفه ان يلتمس له اذنا من عزيز مصر ليرسل بعثة من شباب لبنان يتعلمون الطب هناك[٩] فأذن محمد علي باشا بذلك وارسل الامير ثلاثة لبنانيين ومملوكه

(٦) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٧٥
(٧) الاسرة اليازجية للعلامة عيسى اسكندر المعلوف ج ١ ص ٧٤
(٨) تاريخ الصحافة ج١ ص ٧٥ – ٧٦ – ٧٧
(٩) تاريخ الاعيان في جبل لبنان ص ٥٨٨ طبع ١٨٥٩

الاديب

✻

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :
في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف .

– تدفع الادارة خمس ليرات لبنانية ثمن النسخة الواحدة من الجزء الاول من السنة الاولى ١٩٤٢ وتدفع ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثالث من السنة الثالثة ١٩٤٤

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

★

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب
سكرتير التحرير : بهيج عثمان
المدير الفني : مختار شميلي

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

سلميا فتعلموا علم الطبيعة والطب بكامل فروعه ونبغوا فيه .

اول مسرح

مارون النقاش ١٨١٧ – ١٨٥٥

ولد في صيدا وتربى في بيروت وكان من حداثته ميالا الى العلم فاتقن الآداب اللسانية وغيرها واتقن من اللغات الايطالية والافرنسية والتركية وكان له ولع بالموسيقى .

وكان فيه ميل الى السفر مع صعوبته في ذلك الحين . ذهب الى الاسكندرية ومصر سنة ١٨٤٦ في اواخر ايام محمد علي وشخص منها الى ايطاليا وهي يومئذ لا تزال اكثر ممالك اوربا علاقة بالشرق وحضر فيها تمثيل الروايات على المسارح فادهشه ما في ذلك من اللذة والفائدة بتمثيل العبرة حتى يراها الناس رأي العين(١٠).

وخطر له ان ينقل هذا الفن الى العربية لفائدة ابناء وطنه واخذ في العمل حال رجوعه الى بيروت فضم اليه جماعة من اصدقائه الشبان واخذ يعلمهم التمثيل والف لهم رواية البخيل وهي اول رواية تمثيلية الفت في اللغة العربية فعلمهم ادوارها حتى اتقنوها ومثلوها في بيته سنة ١٨٤٨ في ليلة حضرها قناصل المدينة واعيانها فاعجبوا بما شاهدوه من دقة التمثيل واتقان التأليف مع حداثة هذا الفن . فشاع خبر ذلك حتى تناقلته الصحف الافرنجية فزاد نشاطاً واقداماً فألف رواية « أبي الحسن المغفل » .

وقدمثلها في بيته ايضاً في اواخر ١٨٥٠ ودعا اليها والي سورية وبعض الوزراء ورجال الدولة وكانوا يومئذ في بيروت فاعجبوا به واثنوا على نشاطه فلما تحقق نجاح عمله انشأ مسرحاً خاصاً بالتمثيل بجانب منزله خارج باب السراي بفرمان سلطاني .

اول مكتبة لبيع الكتب

كانت المكتبات في بدء امرها عبارة عن دكان فيه البضائع المختلفة الانواع والاشكال ومن ضمنها كتب معدة للبيع . هذا ما كانوا يطلقون عليه اسم مكتبة ثم ارتقى شأن المكتبات فلم يعد يرى في دكان المكتبة الا نوعان او ثلاثة من البضائع المختلفة ثم اختصرت المكتبات على صنف واحد بازاء الكتب وهو تصليح الشماسي .

واول مكتبة انشئت في بيروت بالمعنى الصحيح هي مكتبة صادر الباقية الى يومنا هذا والحمد لله اسسها ابراهيم بن يوسف صادر سنة ١٨٦٣ وكانت لا تبيع الا الكتب واللوازم الورقية وما يتبعها من لزوميات دور العلم والتجارة والادب(١١).

اول مكتبة عامة

اول مكتبة عامة في لبنان هي دار الكتب اللبنانية او المكتبة الوطنية اسسها العلامة الفيكونت فيليب ابن الكونت نصرالله دي طرازي سنة١٩١٩ وكانت نواة هذه المكتبة مكتبة الفيكونت طرازي الذي تبرع بها واقبل عليها القراء بشوق زائد وعدد كبير .

وجرى تدشين المكتبة رسمياً في تموز سنة ١٩٢١ . وفي سنة ١٩٣٧ خصصت الحكومة لدار الكتب دار خاصة بها وهو جناح من بناية البرلمان ندوة النواب حيث مركزها اليوم . ويؤمها من القراء والمطالعين والباحثين ما يقارب المائة مطالع يومياً(١٢).

اول متحف

انشيء في بيروت سنة ١٩٢٢ وتولى ادارته سنة ١٩٢٨ الامير موريس حافظ شهاب المتخرج من مدرسة اللوفر في باريس فأحسن ادارته واتقن عرض آثاره واهتم في الحفريات فاخرج من كنوز الارض آثاراً اغنت المتحف كثيراً . وكانت سبباً لنشر كتب علمية اثرية تاريخية فنية عن هذه البلاد . ولم يزل متحفنا هذا سالكاً سبيل الرقي والنجاح .

نور الدين بيهم

(١٠) مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ٢٣٠ – ٢٣١

(١١) تكرم علينا بهذه المعلومات السيد يوسف صفير صاحب مكتبة صفير فلحضرته الشكر .

(١٢) من خطاب للفيكونت طرازي طبع بمطبعة خليفة ص ١

فـــورة شك

انا اشفق عليك منك ايهـا الدارج على سطح الارض ، المجبول من لحم ودم ، بل من حقد وغدر . انا اشفق عليك من نفسك المطوية على خبث ، والمبسوطة على اؤم . فـان عدوك لفي صدرك ، وشؤمك في وجهك . فلا تروم الخير الا هب منك عليك مـا يقودك الى الشر . ولا تسعى للنعمة الا لقيت النقمة . ولا تحسو رشفة من هناء الا جرعت كأساً من البؤس والغم !

عدوك في صدرك وكل من حولك عـدو لك . فالاستذئاب المنتفض فيك ينتفض في من تلتصق بهم عليك . فلا تصدق هذه البسمات المنتشية على المباسم للترحيب بك ، ولا تؤمن بهذه الايدي الممدودة لمصافحتك والضاغطة يدك ، ولا بالكلمات المعسولة تلقى اليك على اغتباط وحنين . فان وراء البسمات دعوات عليك لا لك . وفي تلك الايدي المبسوطة عقارب تود ان تلسعك اما الكلمات الحلوة المتهاوية اليك فانها لصباغ زائف . فاذا ما اتفق لك ان تزيل عنها الغشاوة هالك نفاقها واستعذت بخالق الناس من الناس!

الناس لا يطيقون ان يروك سيداً الا مكرهين . واذا ما استطاعوا ان يهدموك وانت في مقامك الاعلى ، بل وانت تحبو الى مقامك الاعلى ، انزلوك من عليائك باسمين متنفسين . فقد هوى عن صدورهم الكابوس واضحيت مثلهم ، من الحثالة والنفاية . وليس يغبطهم الا ان يكون الجميع حثالة ونفاية هياماً منهم بالمساواة ، فلا يرجح سعد على سعيد ، ولا يعلو زيد عبيداً . فالقمة والمتربع في القمة مكروهان. ألا ترى كم يلهث الانسان في طريقه الى الهضبة ، وكم يتعب وهو ينظر الى قبة الفلك وعين الشمس ؟

لا ، لم يخلق هذا المجبول من لحم ودم بيدين تنبسطان كالجنـاحين وبرجلين تجريان على دواليب ، فقد خلق اقطع ، اعرج ، اعمى ، اغلف القلب . فيجهد نفسه كي يبصر ويفهم ، واحياناً لا يبصر ولا يفهم مع كل مجهود مبذول في بلوغ مستوى النظر والفهم ويحاول الطيران ويشتهي السرعة.ويظل مكانه . واذا اتفق لمخاوق مثله ان يحلق في كبد الفلك بقوادم وخواف سدد اليه النصال يرمي بها قلبه . ولا ينقطع عن رشقه بالنصلة تاو النصلة حتى يصيب منه مقتلاً . وعند ذاك يسكن فائره . قضي الامر الذي فيه تستفتيان !

وانى لهذا المتحدر من الطين ، المسبوك من الرجس ان يرتفع عن الطين والرجس؟ . . فهو في الصلصال ولن ينهض من تمرغه في الصلصال . يخاف الزوبعة فيحتمي في وجره كالثعلب . ويلوح له الضعيف فينقض عليه ذئباً خاطفاً . ويعتصم بالنميمة فيبيت افعى تنفث السم النقيع .

حيوان هو الانسان ، ولكنه حيوان دني . يجد اللذة في الدنس ، والهناء في الشذوذ ، والنعـيم في الاساءة . يهدم لا ليستفيد ، بل ليجد كل ما حوله خراباً فالعمران لا يرضيه وهو الناقم على كل حسن وجليل . الله ممن تقر عينه بنعيق البوم وتضيق اذناه بتغريد البلابل . وممن يجفل من شجو المزمار ويطرب لفحيح الثعبان . وممن ينفر من المهد ويتنفس حيال التابوت وممن يجد العرس في المأتم ، والروعة في الخنزير . وممن يرتعد امـام الصباح وتسكره دهمة الليل ، وتعاريج الازقة ، ومزالق الديجور ! الانسان ، اي بهيمة تتمرغ في جيفة هو الانسان . فكل ما فيه قواذير . كل فوهة فيه مستنقع . يأكل الاطايب ليفيض بالاوساخ ، من منخريه ، فاذنيه ، ففمه ، وما نسيت عينيه ، عينيه الراشحتين بالدمع ، الدمع العلوي كالبخور ، ولكن الرمش الانكد يعقب لدمع المصفى كأشعة النجوم .

في مَ يفكر هذا الجالس بجانبك ؟ . . . افتح صدره وازح عن قلبه غلافه ، فماذا يبدو لناظريك ؟ . . انك ترتاع حيال ما تقع عليه باصرتاك . هو يحمل بيمينه خنجراً ليغمده في لبك . هو يميل الى دعسك بقدميه . فادنى ما يستجمع له قواه ان يستعبدك ، ويقودك ذليلاً صاغراً في موكب مجده ومتناهي صولته . هو يكرهك ويود ان يحتقرك ، ان يبلغ منك مبلغ المهانة . وقد يحـاول ان يفعل لولا خوفه منك وربما همّ بالطعن عليك وبالازدراء بك ، فعبست ، فالتوى عنك . انه ليخشى عواءك وهريرك فزجر نفسه عن العبث بك والاستطالة عليك . ولولا الخشية لكنت لجشعه مأكلاً وموطىء النعل من قدميه ! في مَ يفكر هذا الجالس بجانبك ؟ . . في سلبك . في اقتناص اموالك . في فضحك . في تجريدك من موهبتك ، وهمتك ، ومكانتك . في رذلك ! . صديق ! . . . اين الصديق ؟ . . . ألا حاول ان تسمعه كلمة شائكة ، ان تستقرض منه درهماً ، ان تهضم له حقاً وانظر اين يمسي الصديق . هباءة امحت في ايل !

انا خبرت الانسان وعرفت ما هو . فحاول ان تختبره مثلي وصبوتي كل صبوتي ان لا تقع فيه على ما وقعت فيه منه . فقد يصفو لك الرنق العكر ، ويصحو العربيد ، ويستذوق الجمل . ولكن احذر قلبة الزمن ، ولين ملمس الاصلال . . . عند التقلب في انيابها العطبُ !

كرم ملحم كرم

ابو الصعاليك

بقلم السيدة وداد سكاكيني

*

ماذا على « ماوان » في غابر الزمان ، عند بوادي الجاهلية ، حيث البطاح الفيح والرمال الميثاء ، ومنعقد اللاوى ، والعباءات مجررات الاذيال طويلات الاردان ، يروح فيها الاعراب ويغدون وثمة مبارك إبل ومضارب واطناب ، وقصاع فيهـا لباب البر الملبوك بالشهاد وجفان طاف عليها زبد الثريد يحملها بعض القوم الى سماط قد مد في كلأ ممرع حول ماء جادت به السماء .

ومالي ارى هنالك في البلد البعيـد والزمن الشريد اناساً من العرب عليهم هلاهل وخلقان ، وفيهم حفاة مساكين ومكافيف مضاعيف، انهم الصعاليك من شذاذ الآفاق وذؤبان الفلاة ، وهذه سنة عصيبة أذهبت اللحم وأوهنت العظم ولا في الحي عريب يطعم او كريم يكسو الا ابو الصعاليك عروة بن الورد ، فقد قفل بالامس من غزاة قطر بها قافلة عيس ، وها هو اليوم ينحر الجزور للضيفان وقد كلب عليهم الزمان فيأكلون من زاده وينقلبون الى اهليهم راضين حامدين لمكارم عروة، ولقد يتساءلون عنه فيقولون: أصعلوك وجواد ؟ ان هذا لامر عجاب .

لقد كانت الصعلكة حرفة لعروة عرفها وألفهـا في غدوه ورواحه وقد غاه من قبل نسب عريق فهو من غطفان ومن قيس عيلان ، وللصعلكة في ادبنا القديم نوادر وطرف ولاهلهـا اطوار واحاديث، وكان لها في ادب الفرنجة تأثير في بلاد الاسبان وفرنسة قبل عصر النهضة الادبية فيها ، اما صعاليكنا الاقدمون فكانوا احسن حالا من صعاليكهم ، ان البيداء امـام منبسط ابصارهم لرحيبة المدى ، وان في سرى الليل ورحيل النهار وخفة المعـاش والتكاليف لمصرفاً لهم الى الشعر قولا ورواية ، فقد كانت نفوسهم والهة شفافة وشعورهم مرهفاً فياضاً، لكن قلوبهم كانت اصلاداً أجلاداً، كانوا يتخذون معايشهم من المغازي فيدمرون على الاحياء الآمنة في مضاربها عرض الصحراء ، يستلبون شاءها ويقتلون رجالهـا ويسبون نساءها ويروعون ولدانها ، ثم ينتزعون الابل ويفرون بها الى مرابعهم ، فاذا اقعدهم المرض عن الغزو او صرفهم العجز عنه حمل عباءهم فيه عروة بن الورد ، فكان اذا اصاب الناس المحل في سنة قاسية تركوا في دارهم المريض والضعيف والشيخ والصغير ، وكان عروة يجمع اشباه هؤلاء من عشيرته في الشدة ، ويعد لهم المسارب والاكناف ويأتيهم بالطعام وبالكساء ، فمن قوي منهم خرج به فأغار معه وجعل لاصحابه الباقين نصيباً من المغانم ، حتى اذا اخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة الجدباء ألحق كل انسان باهله وقسم له نصيبه من الغنيمة ، وربما اتى الانسان منهم اهله وقد استغنى فلذلك سمي عروة « الصعاليك » ورب ليلة سرى بهـا مع عشيرته فقيض له ناقتان نحر احداهما واطعم قومه وحمل على الثانية متاعهم وضعفاءهم ثم خلد بعد ذلك الى شعره فاخذ ينشد من وحيه ابياتاً وقصائد يصف فيها نفسه بانه بين قومه كالام الرؤوم وقد يتفلسف في جوده فيرى نفسه مدفوعاً الى اغاثة اللهيف والضعيف واطعام المحروم ، بل يرى ان اناءه الذي يرد فيه الطعام ينبغي ان يبقى شركة ، وان جسمه موزع في جسوم كثيرة ، فكأنه مخلوق لينتزع المال من البخلاء والاغنياء ، ويوزعه على المساكين والفقراء .

عاش عروة عمراً ملأه بمآثر المروءة والاحسان ، وكان بطلاً مغواراً كأبطال الاساطير الاغريقية ، فليست مغامرات « عوليس » في مجاهل البر والبحر باروع من مغامراته بين كثبان الرمل وعالج الصحراء ، وذاع صيته في الجود حتى عم الافاق واصبح حديثـاً بعده ، فكان يتمنى عبد الملك بن مروان ان يكون من ذريته ، وقد اعتز الحطيئة في حضرة عمر بن الخطاب بشعر عروة فقال يا امير المؤمنين كنا نأتم بشعر عروة ، أما معاوية فكان يتمنى لو انه من

صلب عروة بنات فيتزوج احداهن ، وبلغ من جوده ان زاحم حاتماً على عرش الكرم ، فلقد كان حاتم يجود على المعتفين من غير ان يعرض نفسه للقتل ، اما عروة فكان يجود بنفسه وبماله والجود بالنفس اقصى غاية الجود . . . وكأني ارى الى ناس من بني عبس في سنة اصابتهم بالجوع والخوف فأقاموا امام بيته ولما طلع عليهم صرخوا يا ابا الصعاليك اغثنا . . فلبس لأمته واخذ سلاحه وهم بجواده فتعلقت به امرأته ، وجعلت تنهاه عن الغزو وتتخوف عليه من التهلكة ، فعصاها وانطلق غازياً ، وبعد ايام عاد بإبل فرقهـا على فقرائه وراح بعدها ينظم الشعر واصفـاً حاله بتلك الغزوة وقسمته الغنيمة وقلة اكتراثه بتخويف زوجته .

كان الحديث عن عروة عجبـاً ، تولع بسيرته المنصور فدخل عليه ذات يوم ثمامة بن الوليد فقال له الخليفة : أتحفظ حديث عمك عروة ؟ فقال اي حديث يا امير المؤمنين ، فقـد كان عروة كثير الاحاديث ثم اخذ يروي لمولاه اطرافاً من سيرة عروة فيها شهامة وعزيمة وفيهـا اريحية وفروسية ، فاذا انتهى من قصة عن ابي الصعاليك قال له المنصور : ان له لاروع من هذا وابدع واخذ ابو جعفر يتحدث عن عروة اعجب واطرب .

ولم يكن عروة على صعلكته مرذولا ولا منبوذاً ، وانما كان له بيت وعيال ، وكانت في حياته امرأة شهدت كبرى حوادثه ، واعلها كانت اروعها وابقاها ، كان اسمها سلمى وتكنى ام وهب ، سباها من الحجاز فاتخذها عروة زوجة وبقيت عنـده بضع عشرة سنة ولدت له اولاداً وهو لا يشك في مودتها وانها ارغب الناس فيه وكانت تلح عليه في كل عام قائلة :

— لو حججت بي يا عروة فأمر باهلي واراهم !

فجاء بها مكة ذات عام ، فحج الكعبة على جاهليته يوم كان عليها اللات والعزى ، وذهب الى المدينة ، وكان بينه وبين فريق من اهل يثرب معرفة وخلطة ، يقترض منهم اذا اعسر ويقرضهم اذا ايسر فاتصلت سلمى باهلها وكانوا يخالطون بني النضير الذين نزل فيهم عروة فقالت لهم زوجته :

— انه خارج بي قبل ان يخرج الشهر الحرام فتعـالوا اليه ، وانبئوه انكم تستحيون ان تكون منكم امرأة معروفة النسب ولكنها سبية ، وافتدوني منه فانه لا يرى اني افـارقه ولا اؤثر عليه احداً . فاتوه وسقوه الشراب حتى اخذ بمعاقد جفونه وحركات لسانه ، فاستلوا منه وعداً برغبتها واشهدوا عليه هذا الوعد ، ولما كانت الغداة استنجزوه فأنكر ثم لما رأى الشهود لم يستطع على الامتناع وفاداها ، ففادوه بها وخيروها ، فاختارت اهلها وقالت لعروة :

— يا عروة ، اما اني أقول فيك وان فارقتك الحق ، والله ما اعلم امرأة من العرب بنى بها بعل خيراً منك واغض طرفاً واجود يداً ، ما مر علي يوم مذ كنت عندك الا والموت كان فيه احب الي من الحياة بين قومك ، وكم خامرني الاباء كلما سمعت من قومك امرأة تقول : قالت أمة عروة . . فوالله مـا انظر في وجه غطفانية ابداً . . .

واحبت سلمى ان تزوده زاداً يذكرها به ابد العمر ويرويه عنها ادب الدهر فاثنت عليه امام قومهـا وهو ممتلىء القلب حباً لها ولوعة عليها فقالت :

— والله انك ما علمت لضحوك آتياً ، كسوب ذاهباً ، ثقيل على العدو ، طويل العماد كثير الرماد ، راضي الاهل والجنـاب ، فارجع راشداً الى ولدك واحسن اليهم واستوص بهم خيراً .

وفارقها عروة ندمان آسفاً ، ففزع الى الشعر يسكب فيه خواطر حبه لزوجته المفارقة بعد السنين الطوال ، فيأرق ليلة بضيق العمر حين يلمح برقـاً مستطيراً من نحو تهامة فيذكر سلمى وديار سلمى ويذكر منازلها وكيف خدعوه بفدائها .

ثم تزوجت سلمى بعد عروة رجلاً من بني عمهـا فأرادها يوماً ان تمدح خصاله كما فعلت بعروة وشاقه ان يشيع في العرب مدحها له فأجابته :

— لا تكلفني هذا ، فاني ان قلت الحق اغضبتك، لا واللات والعزى !

فألح عليها بان تثني عليه بما تعلم فوصفته بما ساءه وكانت صادقة

ولا اعلم ما صنع الدهر بعروة بعد سلمى ، لعله هام على وجهه وصار بعدها الى مضيعة ومضلة ، اذ كان يرى نفسه على عهدهـا صعلوكاً تلتمع طلعته كضوء ساطع لا صعلوكاً ممن الحاهم الله .

وكيف بدأ امر عروة الصعلوك او انتهى فقد عاش بعز لم يحلم بمثله الامراء ، وترك بعده ذكراً مقروناً بالحمد لكرمه واشفاقه على سلبه وسبيه ، اما السلب فكان في سبيل المحرومين والفقراء ، واما السبي فقـد نقمت من قلبه سلمى بعد زواج ومودة ، بحرقة لا تنطفي وحسرة لا تمحى فراح من الدنيا لا له ولا عليه ، وكان فيها ابا الصعاليك وصعلوك الامراء .

القاهرة — وداد سكاكيني

هل يوجـــد علم للاخلاق[1] ؟

بقلم اديب يوسف
ليسانسيه في الآداب

نستطيع ان نسأل — اذا سلمنا بالتعريف العام لعلم الاخلاق بانه علم الخلق او السيرة — في اي معنى يمكن ان نتحدث عن علم كهذا ؟

قيل ان مادة العلم هي حقائقه اللازمة وانه يرد المسببات الى اسبابها ويصوغ القوانين العامة للطريقة التي تعمل بها هذه الاسباب ومن هذه القوانين او من مجموعها يتقدم الى استنتاج نتائج جديدة والعملية الاخيرة هي التي يمتاز بها العلم بصورة خاصة . فلا يمكن ان يقال عن العلم بانه كامل حتى يبدو انه قادر على التنبؤ بنتائج معينة من النظر الى قوانين اسبابها المعروفة . وبنـــاء على فكرة العلم هذه يصبح واضحاً اننا عند افتراض وجود علم للخلق او السيرة نفرض ان هذين الاخيرين انما ينتجان من بعض الاسباب التي يمكن تعيينها وانه يمكن صوغ قوانين عامة عن اصلها وسير نموها وانما عندما يكتمل العلم قد نأمل ان نكون قادرين على التنبؤ بنبوآت صحيحة تتعلق بها على ضوء تعميماتنا السابقة .

وهكذا يبدو منذ مطلع البحث اننا نفرض بعض الفرضيات عن طبيعة الخلق البشري والسيرة البشرية هذه الفرضيات التي كان البحث فيها احد مواضيع فلسفة الاخـــلاق الرئيسية . ألا تزعم مدرسة واسعة وقوية من المفكرين بان « الخلق والسيرة همـــا — حقيقة — لا يمكن تفسيرهما بانهما ينتجان من قوى يمكن احصاؤها وتعيينها ؟ انهما في الدرجة الاولى يتوقفـــان على ارادة الانسان ولا يحق لنـــا في مطلع البحث ان نحكم احكاماً سابقة لاوانها في مسألة حرية الارادة . فاذا كانت الارادة حرة فقدت فكرة علم الاخلاق قيمتها اي يوجد في خلقنا وسلوكنا عنصر متبدل مذبذب غير قابل للتعيين يفسد علينـــا جميع نتائج علم الاخلاق . »

هذا الاعتراض على كل حال مبني على فكرة خاطئة عن طبيعة العلم . لان علم الاخلاق لا يهتم في الدرجة الاولى « بالسلوك من حيث هو حدث في المكان والزمان » — او من حيث هو شيء ما عمل الان وفي هذا المكان ولاحق ببعض الاسباب في الماضي ومنته ببعض النتائج في المستقبل . بل هو يهتم (بالحكم على السلوك) — بالحكم على ان هذا السلوك او ذاك خطأ او صواب . ان الفرق بين الاثنين مهم جداً ولقد اتخذ القاعدة التي بني عليها التصنيف العام للعلوم فأولاً : لدينا تلك العلوم التي تعنى بحقائق الطبيعة او العقل او ظواهرهما — بوقائع تحتاج الى التحليل والتصنيف والتعليل . وحركة الارض حول الشمس احدى هذه الوقائع . ويمكن ان يعد علم الفلك نموذجاً لهذا الصنف من العلوم — العلوم الطبيعة . (ثانياً) لدينا تلك العلوم التي لا تعنى في الدرجة الاولى باحداث وقعت في زمان ومكان . بل تعنى باحكامنا على تلك الاحداث — العلوم المعيارية . وعلم الاخلاق من هذا الصنف الاخير الذي ينتسب اليه علم المنطق (علم الحكم على الحق والباطل) وعلم الجمال (علم الحكم على الجمال والقبح) . ويجب على علم الاخلاق ان يبحث في معيار الصواب والخطأ كما يجب على علم المنطق ان يبحث في معيار الحق وكما يجب على علم الجمال ان يبحث في معيار الجمـــال . ان علم الاخلاق يُعنى في الدرجة الاولى بالقوانين التي تهيمن على احكامنا في الصواب والخطـــأ . ويُعنى في الدرجة الثانية فقط بالقوانين التي تهيمن على سلوكنا من حيث هو حدث في الزمان والمكان . ان علم الاخلاق لا يهمه كثيراً ان يعرف عندما يقترف احد الناس جريمة السرقة اذا كان هذا حراً ام مجبراً في اقدامه على هـــذه الجريمة . ولكن يهمه كثيراً ان يعرف هل السرقة خطأ ام صواب ؟ ولم هي خطأ او لم هي صواب ؟

لقد بدأنا هذا الفصل بسؤال عن علم الاخلاق : باي معنى يمكن ان نتحدث عن علم كهذا ؟ ونحن الى الان لم نجب عن هذا السؤال الاجابة المطلوبة وكل ما قلناه لا يتعدى سوى ابعادنا

---

(١) عرض وتلخيص من كتاب مبادىء علم الاخلاق للاستاذ J. Muier Nead

ما قد يقع فيه القارىء من خطأ في حشر علم الاخلاق بين العلوم الطبيعية . ثم بينا موضعه الحقيقي بين العلوم « المعيارية » . فعلينا اذن ان نعود الى سؤالنا الاول : باي معنى يمكن ان نتحدث عن علم الاخلاق؟ او ماذا يمكن ان ننتظر من علم الاخلاق ؟ وقبل ان نشرع في الاجابة عن هذا السؤال من الضروري ان نحدد بوضوح اكثر من ذي قبل ماهية العلم بمعناه الدقيق وما ننتظر ان يقدمه لنا .

بماذا تمتاز – في علم الفلك مثلاً – الطريقة العلمية عن الطريقة الاعتيادية في النظر الى الاشياء ؟ (اولاً) ان الطريقة العلمية تلاحظ بدقة . كل فرد يعلم ان الاجرام السماوية تبدل اوضاعها بالنسبة للارض وبالنسبة لبعضها الآخر . اما علم الفلك فيتطلب ملاحظات واوصافاً مدققة عن هذه التبدلات . (ثانياً) العلم يميز بين انواع مختلفة من الظواهر التي لوحظت بدقة ويصفها بالنسبة لاهم الفروق التي بينها وينتهي علم الفلك حالاً الى التمييز بين شمسنا ونظام السيارات وبينها وبين الشموس البعيدة ثم يميز الاقمار من الكواكب والنجوم . ويميز النجوم التي بردت الى درجة تسمح بالحياة على سطحها من تلك التي لم تبرد . الخ . (ثالثاً) ليس على العلم ان يلاحظ بدقة ويصف فقط وانما عليه فوق ذلك ان يعلل . انه مدفوع الى النظر الى ما وراء هذه العلاقات الخارجية والى البحث عن مبدأ يمكن ان يعللها على ضوئه . ولكن ماذا يقصد بالتعليل؟ لا يكفي لتعليل ظاهرة من الظواهر او حدث من الاحداث تعليلاً علمياً ان نهتدي الى السبب او العامل الذي نجمت عنه . ان التعليل يتضمن هذا ولكنه لا يقف عنده . فلا يمكن ان يقال عن الشيء بانه عُلل الا عندما يُرى منبعثاً حتماً من « مجموع الظروف والاحوال » التي يحسب العلم حسابها . ولكن هذه الظروف ، عندما تفهم بدقة واتقان ، ليست مجرد مجموعات من الظواهر المتعاقبة ولا مجرد مجموع من الظواهر المتجاورة بل هي العلاقات الموجودة بين اجزاء او اعضاء نظام عضوي Organic System . ويجب ان نلاحظ في نظام كهذا ان كل عنصر يحتاج الى التعليل يبدو حالاً ذا علاقة مزدوجة بالسبب والنتيجة . ولذلك يعد هذا التمييز – الذي نتخذه عادة اساساً للتعليل – مختفياً من الشكل الذي يتطلب منا ان نفهم به الظواهر العديدة التي نفحصها . وبناء على ذلك يمكن ان نخطو خطوة اخرى الى الامام فنحاول – بعد ان ندع جانباً تعريف (التعليل) بانه مجموع الظروف – ان نستبدل به تعريفاً آخر ادق منه . ويقال عن الظاهرة انها عُللت بهذا المعنى الاخير تعليلاً كاملاً عندما تتوفر لدينا المعرفة الكافية عن (المجموع) الذي نحن في صدده لتسمح لنا بفهم هذه الظاهرة في ضوء علاقات الاجزاء الاخرى المعلومة ومن ثم لكي نفهمها كجزء لا ينفصل من الكل المنسجم من الكل المتلاحم . ولنمثل على ذلك بمثل بسيط : ظاهرة الفجر تعلل بالمعنى الذي ذكرناه عندما نراها نتيجة حتمية لازمة لمجموع الظروف التي نعرفها باسم نظام السيارات ، وبعبارة اخرى : عندما نعرف معرفة كافية عن العلاقات المتبادلة بين مختلف اعضاء نظام السيارات وعن قوانين حركاتها بحيث نجد ان ذلك يشمل تعرض الجانب الذي نعيش عليه من الارض الى جهة نور الشمس في فترة معينة بالشكل الذي ندعوه بطلوع الشمس Sunrise .

فنحن اذن نعني بهذه المرحلة الثالثة ، عند البحث في اية ظاهرة من الظواهر بحثاً علمياً ، الطريقة التي نرى بها الظاهرة جزءاً ملتحماً بمجموع او بجسم ما . التي نرى بها الظاهرة « ضرورية لازمة Required » للظروف التي سبق ان عرفت بانها تسود في ميدان معين او مجموع من الحقائق . واذا ما عُللت هذا التعليل ترى ، على فرض وجود نظام او مجموع System ، حقيقة لازمة .

أيمكن ان يقال ان علم الاخلاق قادر على التعليل بهذا المعنى؟ اجل انه قادر . انه يرمي الى عرض مختلف انماط الحكم الخلقي كنتيجة حتمية منبعثة من ظروف الفرد وظروف حياة الانسان الاجتماعية المعروفة . ويبدو للجاهل ان الاحكام الخلقية ظواهر الواحدة منعزلة عن الاخرى لا علاقة بينها ولا بين حقائق الخبرة الاخرى . لذلك يبدو اننا نقحم في هذا العالم المنسجم المتلاحم من الحقائق والاحداث احكام استحسان واستهجان بصورة قسرية . وتبقى وظيفة علم الاخلاق – كما فهمناها هنا – ان يدخل هذه الاحكام في علاقات عضوية فيما بينها وبين حقائق الخبرة المعروفة . وان يعري هذه الاحكام من تعسفها الظاهري ويكسوها بكساء من العقل . وذلك باظهارها كنتائج لازمة حتمية ضرورية لذلك المجموع من العلاقات الذي يعرف باسم المجتمع البشري .

ويمكن ان نزيد ما قلناه وضوحاً بمقارنة موجزة بين علم الاخلاق بالمعنى الذي بيناه وبين رأيين آخرين ارتئيا في طبيعة البحث الاخلاقي ومداه . فلقد تمت بعض المحاولات لحصر مدى علم الاخلاق في وصف وتصنيف احكام الاحساس الخلقي لقد قيل ان القرار الاخير الوحيد الذي يمكن ان نقدمه عن تلك الاحكام المتعلقة بالصواب والخطأ والتي ندعوها الاحكام الخلقية ، قيل انه : عند

وجود المرء في بعض الظروف (مثلاً : وجوده الى جانب محفظة نقود لجاره) يصدر الاحساس الخلقي بعض الاحكام (مثلاً : انه من الخطأ ان تأخذ ما ليس لك) . وواجب علم الاخلاق ان يصف هذه الاحكام ويصنفها ولكنه لا يستطيع ان يعللها لانها تقوم على شعور وراثي او غريزة موروثة تفسد كل محاولة ترمي الى تحليلها .

ونحن بطبيعة الحال عند الرد على هذا الرأي نسلم بوجود ما يدعى الاحساس الخلقي – الذي يعتبر البحث فيه جانباً مهماً من علم الاخلاق – ولكننا نأبى ان نسلم بانه شيء غير قابل للتحليل وانه صادر عن قدرة معينة : ان له اصلاً وتاريخاً ومحلاً بين حقائق الحياة الاخلاقية الاخرى التي من واجب علم الاخلاق ان يكشف عنها كما ان اقواله Its dicta (بالرغم من اننا لا نفهم بوضوح كيف يستطيع الاحساس ان يتكلم ويشعر) ليست اقوالاً منعزلة (ولو كانت كذلك لاصبحت كلها مستحيلة على الفهم) ، ولكنها تكتسب الاهمية التي تملكها من علاقاتها بنظام شيئين من الاجزاء او العناصر ذات العلاقات المتبادلة فيما بينها .

وهناك رأي آخر يرجع الاحكام او الاوامر الخلقية التي تكوّن مادة علم الاخلاق الى ارادة سلطة خارجية ويدعي بانها تصل الانسان اما بطريق الوجدان واما بطريق الوحي . ولكنها في كلتا الحالتين لا يمكن تعليلها الا باللجوء المباشر الى هذه الارادة العليا suprimewill لا الى خبره او حياة بشرية كهذه .

ولا حاجة بنا الدخول مع اللاهوت في جدل طويل لكي نبين – مهما كانت الصلة بين علم الاخلاق والدين وثيقة – ان هذا الرأي يؤدي اما على انكار اي علم للاخلاق او على مغالطة منطقية قائمة على فرض مبدأ للبرهنة على مبدأ آخر Petittio Principi فاذا كان المقصود انه لا يمكن قول اي شيء فيما يتعلق بالخير والصواب سوى انهما ارادة الله فقد وقف كل بحث . يمكن ان يخبرنا الضمير او الوحي ما هو الصواب ولكن لا يوجد جواب عن سؤال العلم وهو : لمَ كان هذا صواباً ؟ ولمَ اراني مضطراً لقبول هذه السلطة .

ومن ناحية اخرى اذا كان المقصود فقط اننا نميز الخير والصواب بالتأثير المباشر لارادة اخرى في عقولنا وضمائرنا اي اننـا نعلم ان هذا صواب وان ذلك خطأ لان الله يخبرنا بذلك ، اذا كان الامر كذلك فقد اصبحت هذه مسألة من مسائل اللاهوت او الميتافيزيقا .

ولكن الخطأ والصواب لا يساعداننا على حل المسألة الاخلاقية فلا نزال مرغمين على هذا السؤال : لمَ كان هذا صحيحاً ؟ أهو صحيح لان الله يريده ؟ أم ان الله يريده لانه صحيح ؟ اما الحالة الاولى فانها تعود بنا الى انكار امكان اي علم للاخلاق واما في الحالة الاخيرة فاننا لا نزال في مطلع بحثنا ، وعلينا ان نبحث عن تعليل للحكم على الصواب .

فانا اذن ادعي بان علم الاخلاق هو علم كأي علم من العلوم الطبيعية والمادية . انه يستهدف تعليل الاحكام الخلقية كما يستهدف علم الفلك تعليل حركات السيارات وكما تستهدف الهندسة تعليل خصائص الاشكال بالدلالة على مكانها في نظام لا يمكن ان يكون وحده (وبعبارة اخرى لا يمكن ان يدرك العقل انه موجود) من دونها . وهكذا فان الحكم على السرقة بانها خطأ لا يعلل بمجرد الرجوع الى احساس او شعور قلبي ولا الى امر صادر عن ارادة سماوية ولكنه يعلل بان نبين ان الاستهـانة بملكية الاخرين لا تنسجم وذلك النظام من العلاقات المتبادلة التي ندعوهـا بالحياة الاجتماعية .

بغداد ادیب یوسف

رجل ورجال

*

انظري تلك قمة الجبل المسحور هامت بهـا عقول النسور
جبل المجد لم يزل شامخـاً في كبرياء عجيبة التـأثير
قد غزته النسور في غبشة الصبح فطاحت في سفحه المهجور !
غيرَ نسر أبت جناحاه الا ذروة المجد او حضيض القبور
فامتطى صهوة الرياح وولى يبتغيها بكبره المشهور
فاذا بعـد لحة هو يبني عشه بين شامخات الصخور
واذا الذروة الرهيبة ثارت كبرياء عن كل غاز صغير
لا تثوري يا ذروة الجبل المسحور هذا نسر رهيف الشعور ! !
انه رمية الزمان رماهـا بين احضان جبله المغرور ..!
عانقيه يا ذروة المجـد فيه عبقريات امة وعصور

•

ركز النسر رمحه في ذرا العليـا فغنت به رواة الدهور
وأطلت عينـاه من كوة الغيم فألفى النسور غير نسور ! !
تتلوى ما بين جنح هشيم يتنزى دماً وجنح كسير
فلوى جيده عن السفح هزءاً بحقير يُظن غير حقير !
وعلت ثغره ابتسامة كبر رسمتهـا انامل التقدير
هكذا تعرف العلا ابنهـا البكر فتحميه في صدور الدهور

•

« أيها النسر ! هل اطير كما طرت ام الهزء قد امات شعوري ! ! »

حمص راتب الاتاسي

الرمزية العربية عند ابي العلاء المعري

بقلم عدنان الذهبي

إنا لنعجب(*) ، ونحن نقلب صفحات الادب الغربي ، ونخص بالذكر الادب الفرنسي ، من هذه العواصف الفعالة التي تهب على الفنون الادبية كل نصف قرن على الاقل ، فتلوي اغصانها ، وتقلع اغراسها ، وتسدل على حقيقة جمالها ، استاراً كدناء ، تمد ما بينها وبين الناس ، وتفتح امام هؤلاء باباً جديداً فيميلون اليه ، ويرتمون في جنائنه حتى تهب عاصفة من جديد ويكون نوع آخر وهلم جراً . . وإنا لنزداد تعجباً حين نرجع الى ادبنا العربي فنجده بحراً زاخراً بكل شيء ، ولكن صفحته البراقة تظل هادئة راقدة ، تحميها من مثل هذه العواصف عصبية عمياء ورجعية ذميمة : حتى وان لم يكن لهذه العواصف الا ان تفعل فتراها تترك على صفحتنا الادبية تموجات فاتنة ، فتكون الرمزية لوناً من هذه الالوان التي لا تلبث ان تغيب : وتظل الصفحة هي هي ويظل الشاعر حتى العصر العباسي يفتتح قصيدته بالغزل ، معرجاً على الاطلال ، نادباً ، باكياً . . ليتخلص بنكتة شعرية من هذه القيود كلها فيمدح او يقدح او غير ذلك . .

اذاً ليست الرمزية مذهباً مستقلاً بنفسه في الادب العربي ، له قوانينه وقواعده وله شعراؤه ومحبذوه ، واني على يقين من ان القدماء لم يفكروا في ذلك ! . ومن اين لهم هذا وهم المتعصبون للقديم التعصب الاعمى ، اذا وجدوا في اشعار بعضهم خروجاً عن القاعدة التي وضعها ابن حذام سلقوه بألسنة حداد وعابوه بانه ترك « عمود الشعر » (١)

ولا يسعنا الان ونحن ندرس رمزية ابي العلاء — هذا الشاعر الثائر على القديم — الا ان نميزها من غيرها من الرمزيات التي نعهدها للصوفية ولبعض الشعراء كأبي تمام ، وتتبين قيمة كل منها بالمقارنة والمفاضلة .

والرمزية قبل كل شيء مذهب فني وجد في الادب العربي قبل ان يوجد في غيره من الاداب ، ولكنه اهمل فيه كل الاهمال وتعامى عنه النقاد فلم يضعوا له اسساً عامة صالحة . وذلك عن تعصب للقديم وحب للبساطة والسهولة . وهو مذهب لا يقصد منه الا التعبير عن الحقيقة على اختلاف انواعها بالرموز اي بالفاظ لها قيمتها الموسيقية لا يقصد منها معناها الاصلي ، تنقل السامع بالوانها والحانها وصورها الى جو الشاعر الذي يخلقه لنفسه ، فتريه هذه الحقائق الغامضة حية ماثلة كما يراها في الحياة . هذه الرمزية التي تؤكد لنا اننا اذا عبرنا عن الحقائق بغير هذه الطريقة قتلنا فيها كل حياة وبالاخص في الشعر الذي هو ميدان الخيال والعاطفة . واليك مثلاً على ذلك : يقول الرجل العادي اذا رأى القمر : « طلع القمر » ولا يتسنى له ان يقول غير ذلك ، ولكن الشاعر اذا استعمل الجملة نفسها لاداء المعنى ذاته قتل في طلوع القمر كل حياة ومحا عنه كل رونق ، حتى وقتل هذه الهيئة التي يريد ان يحببها للادب الا وهي طلوع القمر . وكم نرى في طلوع القمر من تموجات والوان وكم نشعر باحساسات هي تارة آلام وطوراً آمال وتارة اخرى غير ذلك ، فهو اذاً زورق سكران مدفوع في بحر القدر القاسي ، هو نشوان هو عاشق هو الف معنى من هذه المعاني التي يريها القمر ، والشاعر كما يقول فاليري « الشاعر المجيد حقاً يمتاز من غير المجيد بانه اذا تحدث اليك لم يمكنك من ان تسير معه كما تسير مع نفسك ، وانما يضطرك ان تفكر وان تجهد نفسك في ان تفهمه وتحسه وتشعر معه » — اذ — « ان الشعر هو الكلام الذي يراد منه ان يحتمل من المعاني ومن الموسيقى اكثر ما يحتمل الكلام العادي »(١) وليس على القراء بعد ذلك الا ان يفهموا .

واذا بحثنا في تاريخ الادب العربي عن هذه الرمزية وجدنا ما يشابهها في نظم بعض الشعراء الذين هم الصوفية . ومن المغالاة والجهل ان نرمي هؤلاء الصوفية بالغرور والانانية : منهم المخلصون ديناً ، وهم فلاسفة الاسلام علماً وهم اول من انتبه في الادب الى

(*) بحث قدم لمباراة ابي العلاء وهو احد الابحاث الثلاثة التي فازت باعجاب لجنة التحكيم (١) ورمزية الصوفية انفسهم ليست الا قواعد ابن حذام يقصد منها غير معناها الظاهر .

(١) ترجمة الدكتور طه حسين في من حديث الشعر والنثر .

قيم الالفاظ التعبيرية والى ما تحتمله من معان حين غاصوا في بحورهم الغدارة ، بحور الحب الالهي ، بحور الوجود ، بحور رموزهم ومعانيهم .
ومن المغالاة ايضاً ان نقول فيهم انهم لم يستعملوا هذه الرموز الا ليوسعوا نطاق تأثيرهم الروحاني الى جانب تأثير العمامة والجبة والسبحة .

وبين يدي الان كتب عديده عن هؤلاء الصوفية وكراماتهم واشعارهم ، وبودي ان تقرأ معي بعض هذه الصفحات او انقلها لك على صفحات مجلتنا المحبوبة لولا ضيق الوقت وخشية الاطالة .
ولا اكتمك انني كلما جربت ان افهم معانيهم واشاراتهم زادتني التجربة حيرة وعلماً بجهلي ، وكلما تغلغلت في مصنفاتهم شعرت بنفسي تحقر نفسها : ننام وهم ايقاظ ، نلهو وهم عابدون نتعلق بالظواهر وهم في غنى عنها حتى في الادب ونعشق الدنيا التي طلقوها الثلاث وما فعلوا ذلك الا حباً بالله ورغبة في اصلاح الشعوب ، ولكن . .

ومن البلية عزل من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يسمع

فالناس في نظرهم في غنىً عن حديثهم . قال الشيخ النابلسي :
« فلا تغتر بكلام اهل الطريقة فانهم يريدون المعاني التي لا تفهمها انت من كلامهم وانما لهم اشارات خفية في عبارات جلية[1] »
وهذا الغموض والوضوح انما هما من انتباه هؤلاء الادباء الى قيم الالفاظ : قال ايضاً : « وضرورة التعبير تقتضي الاتيان بالعبارات التي معناها الظاهر غير مراد المتكلم وهذا معروف عند المحققين »
وقال الشيخ الاكبر :

مـا قلته قلت عني ولا ارى القول يغني . . .

وقال النابلسي : « وهيهات هيهات ان تعرف الاسرار بالعبارات او معاني الاشارات »
وهذا كله شرح ما دعا الى الرمزية الصوفية التي تملؤ الكتب
قال الحلاج :

نديمي غير منسوب الى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب فعل الحر بالضيف ؟!
فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف !
كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف . .

وقال النابلسي :

أطوف على ذاتي بكاسات حضرتي واستمع الالحان في حان حضرتي !
وانفخ مزماري واصغي اصوته واضرب دفي حين ترقص قينتي !!!

وقال الجيلاني :

سقاني الحب كاسات الوصال فقلت لخمرتي نحوي تعالي
وان القيت سري نحو ميت لقـام بقدرة المولى سعى لي

وقال الشيخ الاكبر :

مرضي من مريضة الاجفـان عللاني بذكرها عللاني

وقال في غيرها :

انا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لا روح الاواني
فؤادي عند موجده مقيم يناجيه وعندكمو لساني

الخ من هذه الامثلة الشاردة التي نلاحظ فيها استخدام المرأة والخمرة والتعابير القرآنية وذلك لمعان غامضة واضحة – قد تختلف الصوفية انفسهم في تأويلها – نعم اقول غامضة واضحة لان فيها من الصور الحسية « فؤاد مقيم في السماء واساني يتكلم في الارض ، كاس ، قرآن ، حب » ومن الالفاظ الايحائية « مزمار ، دف ، قرآن ، خمرة ، مريضة الاجفان » ما يحمل القارىء الى جو هؤلاء الصوفية فيجرب ان يبحث عن الحقيقة المقصودة ولكن لا يجد لها مفتاحاً الا الاعراض عنها فيعرض وفي شفتيه « قدس الله سره » وهي جملة لها قيمتها ، وهي جملة تكفي اثرينا ما تركت هذه الرمزية الصوفية في نفس السامع المؤمن .
والصوفية ، مخلصين كانوا ام مرائين ، قد خدموا الرمزية كل خدمة وفتحوا في الادب العربي باباً جديداً هولعمري جدير بدراسة اوسع من هذه الدراسة السريعة وادق ، هذه الدراسة التي نتمكن بها من ان نفرق بعد قليل خيوط ثوب تلك الرمزية العلائية الحية .
ثم لا بد لنـا قبل هذا من ان نميل الى رمزية جديدة وهي الرمزية التي اكتشفها الاستاذ ضيف عند ابي تمام .
قال الاستاذ في كتابه « الفن ومذاهبه في الادب العربي » :
« ان الانسان ليحار ازاء هذه الموهبة النادرة في المزج بين التفكير الثقافي والتفكير الفني ، فكل منها يغمس في الاخر فيحدث ضرب من الرمز البديع ، كما نرى الطباق يدور في وعاء الفلسفة فيحدث ضرب من الطباق الفلسفي الغريب ، امـا الرمز فولده تفكيره العميق (اي تفكير ابي تمام) اذ كان يلتف لون التصوير على هذا الجانب العقلي في شعره فتحدث تلك الرمزية الواسعة التي يلاحظها كل من يقرأ في اشعاره » .
فاقول ان الاستاذ ضيف على حق في كل ما يقول الا ان هذه الرمزية ليست بالرمزية « الواسعة » التي نعرفها في الادب الغربي او الادب الصوفي او رمزية ابي العلاء التي هي غاية دراستنا ، ولكنها رمزية ضيقة النطـاق محدودة ليست الا استعارة مكنية لا غير .

---

[1] من كتاب « الظل الممدود في معنى وحدة الوجود » وهو كتاب مخطوط تحت عنوان رسائل عبد الغني النابلسي . . .

وقد جرب الاستاذ ان يجد لرمزيته مفاتيح فلم يعثر الاعلى « التجسيم والتدبيج » الذين همـا آلة كل شاعر ، قال الاستاذ « فقد كان يستعين على احكامها بصبغين هامين من اصباغ التصوير : وهما التجسيم والتدبيج اذ نراه يجسم معـانيه العميقة في صور حسية لا يلبث ان يدبجها بالوان مادية . » واستشهد عليها بهذين البيتين :

ابديت لي عن جلدة الماء الذي ... قد كنت اعهده كثير الطحلبِ
ووردت بي بجبوحة الوادي ولو ... غلفتني لوقفت عند المذنبِ

وهما واضحان : واي عربي لا يفطن الى ان المـاء هو العطاء ثم لماذا لا يكون للماء جلدة غير الطحلب الراسي ،فرضاً هذا مجهول ما عمل القرينة هنا في ابديت ووردت ؟..

ونحن نعلم ان القرائن من اعداء الرمزية ؟. واستشهد ايضـاً بهذا البيت :

تردى ثياب الموت حمراً فما دجى ... لها الليل الا وهي من سندس خضر

وهو بيت واضح ايضاً الا ان هناك الوانـاً ساحرة تدل على تدبيجه . واكتفي بهذا وبما قلته فوق والفضل يا سيدي القاريء كل الفضل لابي تمام الذي يستعمل هذه الكنايات الغريبة وللاستاذ ضيف الذي لفت نظري الى رمزية ابي العلاء الواسعة ، التي اهملها في كتابه بل تعامى عنهـا حيث ارغم نفسه على ان يثبت فساد الشعر وانحطاطه عند المعري ، وهذا شيء لا يطلق على كل اشعاره ، تاركاً مـا هو أهم في ميدان الفن الادبي الا وهي الرمزية العلائية الخالدة .

ثم اذا اخذنا نطبق قاعدة الاستاذ ضيف في استنباط الرمزية على شعر المعري لوجدنا ان اللزوميات — واكتفي باللزوميات — كتاب الرمزية العربية الخالدة اذ ان خيال المعري يجسم ويدبج كل التجسيم وكل التدبيج ولا سيما في حقليه الواسعين حقل الخيـال وحقل الفلسفة . واليك مثلاً واحداً على ذلك ، وان شئت الزيادة فافتح اللزوميات واقرأ . يقول ابو العلاء في هجاء الخمر وانا لنورد لك القصيدة كما رتبها الشاعر :

توخ بهجر ام ليلى فانهـا ... عجوز اضلت حي طسم ومارب
دبيب نمال عن عقار تخالهـا ... بجسمك شر من دبيب العقارب
ولو انها كالماء طلقـاً لاوجبت ... قلاها اصيلات النهى والتجارب
تحيّ وجوه الشرب فعل مسالم ... يضاحكه والكيد كيد المحارب
اذا قتلت خاف الرشاد جنـاية ... فكان من الفتيان اول هارب
عدوة لب سلت السيف واعتلت ... به القوم الا انهـا لم تضارب

واني على يقين من انني لو لم اقل فوق : يقول ابو العلاء في هجاء الخمر كذا ، وقرأ احدنا البيت الاول كله اني على يقين من ان هذا القاريء سيعمل الفكر لاعادة الذكريات التاريخية : ترى من هي أم ليلى ، هذه العجوز التي اضلت قبيلتين من العرب ، هـذه المرأة التي تستحق الهجر . ولكنه يلجأ الى البيت الثاني فيجد ان دبيب النمال صفة من صفات نشوة الخمرة ، فيتساءل عن الحقيقة فيأتيه البيت الثالث يؤكد له ان هذه ام ليلى انما هي الخمرة لا غير . نعم اقول هذا ولست اريد من هذه القصيدة الا اظهار التجسيم والتدبيج ، فانظر معي الى هذه الصور الحسية التي يصف ابو العلاء بها الخمرة . لقد بدأ برمز قوي يدل على قدم استعمال الخمره بقوله عجوز وهذا لا يهمنا ولكن المهم هنا « ام ليلى » وكأني بأبي العلاء حين فكر في موضوعه هذا رأى القبائل قديماً وحديثاً مفتونين بهذه الخمرة ، فتبادر الى ذهنه الفتون في هيئة امرأة فجسم الخمرة وجعلها امرأة عجوزاً ولم يترك في البيت أي اثر للدلالة عليهـا . ثم انظر كيف جسم الرشاد وكيف جسم اللب وكيف وضع الخمرة في صفوف المحاربين ، وغير ذلك .

ولا تقتصر رمزية ابي العلاء الواسعة على هذا النوع ، بل ان هنالك قصائد هي في الحقيقة مسألة تحتـاج الى تفكير وتحتمل ككل المسائل وجوهاً عديدة في الحل . قال مالرمه : انما القصيدة سر وما على القاريء الا ان يبحث عن مفتاح هذا السر .

وعندنا ان لرمزية ابي العلاء كلها مفتاحين سحريين غير التجسيم والتدبيج .

المفتـاح الاول هو تصوف ابي العلاء وعمله بآراء الصوفية وبطريقتهم التعبيرية .

نعم ومن كان قبلنا يعلم ان ابا العلاء صوفي او رمزي ؟ وقد كنت اراه قاليـاً للصوفية يهجوهم ويسخر بهم ، واذا برمزيته تكشف لنا عن حقيقة امره التي تركهـا في هذا الحصن المنيع ، ورأيت ان الهجاء ليس الا حباً بالصوفية المخلصين الصادقين .

فان كنا على حق في ما نستنتج ونقول فسيكون الابتكار رمزاً من رموز هـذا الموضوع الطريف وان كان غير ذلك فاني ارجو الله ان يهدينا سبل الرشاد .

بالله قل لي ايها القاريء بماذا كان ابو العلاء يعيب الصوفيين ؟ ألم يقتصر هجاؤه على معاتبة اولئك الذين « يحلبون العيش في حلبا »

قال المعري :

لو كنتم اهل صفو قال قائلكم ... صفوية فأتى باللفظ ما قلبا
جند لابليس في بدليس آونة ... وتارة يحلبون العيش في حلبا

وفيها يقول :

ولست اعني بهذا غير فاجركم ... ان التقي اذا زاحمته غلبـا
كالشمس لم يدن من اضوائها دنس ... والبدر قد جل عن ذم وان ثلبا

واحترامه للصادقين ظاهر جلي في البيتين الاخيرين .

هذا وهل كان يسخر الا باولئك الذين يتكلفون التصوف ويتزينون به فيرقصون في مجالسهم ويهيمون رياء وخداعاً :

تزيوا بالتصوف عن خداع فهل زرت الرجال أو اعتميت
وقاموا في تواجدهم فداروا كأنهم غال من كميت
وما رقصوا حذاراً من اله ولا يبغون الا ما حميت

ولا اظنه يعني بقوله .

صوفية ما رضوا للصوف نسبتهم حتى ادعوا انهم من طاعة صوفوا

الا اولئك المرائين قال في البيت التالي :

تبارك الله ! دهر حشوه كذب فالمرء ، منا بغير الحق موصوف

وعجز البيت يكفي للدلالة على احتقاره لهؤلاء الذين انتسبوا الى الصوفية واحتكروا اسم التصوف وما يجر عليهم بغير حق . قال بعد هذا :

ان اثمر الغصن فامتدت اليه يد تجنيه ظلماً فليت الغصن مقصوف

وهو رمز غامض لا يشرحه الا جو الرمزية الذي سنتكلم عنه بعد قليل ، كأني به يقول : هؤلاء المراؤون يستثمرون التصوف الذي نضجت ثمرته أي شاع في البلاد ، ويجنون ظلماً ما طاب منها وما خبث ، فيتظاهرون بالاخلاص ويخدعون الشعب . فيا ليت ان هذا الغصن مقصوفاً ، لان هؤلاء :

يقطعون البلاد بطناً وظهراً انما سعيهم لبطن وفرج

وليس ادل على هذا الاخلاص للمذهب من هذا التمني .

اذاً ، هذا الحب الصادق للصوفية الظاهرين والتصوف المنزه عن كل ريبة وزيغ هذا الحب الذي كشفته لنا ايدي الرمزية ، هذا الحب المجهول سيكون لنا عوناً على فهم آرائه في هذا الباب وعلى ادراك معاني اشاراته الغامضة .

وسترى ان العامل الاساسي الذي دفعه الى هذه الطريقة الرمزية الصوفية هو انتباهه اقيم الالفاظ الموسيقية وقوتها التعبيرية اللتين وجدناهما عند ابن عربي والنابلسي . ولعل منكم من يقول ان ابن عربي والنابلسي قد ظهرا بعد ابي العلاء وانه اذاً لم يتأثر منهما قدر فتيل . فاقول ان المعري مدين برمزيته الى الصوفية او على الاقل الى كونه صوفياً قد انتبه الى قيم الالفاظ ، وما من صوفي الا وعرفها بيد ان ابن عربي والنابلسي لسان العارفين اجمعين .

رمز ابو العلاء كما رمزت الصوفية ولكنه لم يستعمل الدف والمزمار والخمرة والمحبوبة وغير ذلك بل اتى بالرمزية الحية التي عاشت في فرنسا بعد تسعة قرون والتي تعيش الان بين ظهرانينا ، اذ اصبح يستعمل الكل موضوع ما يشير اليه وما يوحيه الى السامع . واني على يقين من انه لو تيسرت له الظروف التي تيسرت للشعراء الفرنسيين لقال في رمزيتهم خير ما قيل ولزاد ايضاً ، وقد وجد الفرنسيون في بيئة رمزية فنية بينما وجد ابو العلاء في بيئة خاملة ان لم تكن تدعو الى الفن فانها تدعو الى الرمز نعم وهل يستقيم وجه الشبه بين موسيقى « فاغنر » الرمزية وموسيقى الحسين بن سينا[1] وابي المنصور الحسين زيلغ وغيرهم من موسيقى عصر المعري ؟ ثم هل يمكننا ان نذكر طبيعة المعرة الى جانب طبيعة فرنسا الخيالية التي تدعو الى القول بالرمز مادام شاعرنا رهن المحبسين؟ والى جانب التيارات الفلسفية التي تدعو الى الرمزية كفلسفة هيجل[2] وشوبنهاور أيمكننا ان نحسب حساباً للاراء الصوفية التي يستنبطها بنفسه ؟؟ فاذا عاينا بأم اعيننا هذا البون الفارق كان من الواجب علينا تقدير عبقرية شاعرنا المعري .

فاسمعه يشرح ما دفعه الى الرمزية قال :

والاسم لفظ اتاك القائلون به نأى ولم يدن للمعنى ولم يطر .

يقول هل الاسم – ولكل شيء اسم – الا لفظ أي احرف جمعتها المناسبات ، يأتيك القائلون بموسيقاها ليرمزوا حالة او معنى وراءها ، فلا تغني عنها شيئاً ! . بل لم « تدن للمعنى ولم تطر » .

ولا اظنك تجهل اسطورة كلمة « خنفشار » التي لم تكن تعني شيئاً قبل واصبحت تعني وضعية انسانية لا يمكننا التعبير عنها الا بخنفشار . حقاً ولماذا لا يمكن المرء ان يعبر عن الموت بالحياة وعن الحياة بالعذاب او غير ذلك ، ألا ترى في المسألة اصطلاحاً قديماً ؟ اذاً ليست الاسماء الا رموزاً ! . ولماذا لا الفظ الخاء ذالاً والياء عيناً أليس هذا اصطلاحاً آخر يرمز شيئاً !!

الى كل هذا انتبه المعري فوجد ان الكلام غامض ينقصه شيء . وأراد ان يشرح هذا الغموض وهذا النقص فقال :

كلامك ملتبس لا يبين كالخط اغفله الناقط

واتى برمز جديد اذ جعل الكلام بحاجة الى شيء هام هو منه كالنقط من الحروف وهذا الشيء هو اللحظ ، قال :

وان كنت بالله المهيمن واثقاً فسلم اليه الامر باللفظ واللحظ . . .

واللحظ هنا رمز آخر وهو « ملتبس لا يبين » اذ ان اللحظ لغةً هو النظر بمؤخرة العين وقد اراد بها اتيان المرء على الله بكل جارحة وجانحة حتى باللحظ . . وقد اردنا باللحظ ذلك الجو الشعري

---

(١) تاريخ الموسيقى العربية في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ب ١٣٧

(٢) راجع كتاب Parnasse et Symbolisme تأليف Martino

الذي يخلقه الشاعر بموسيقى كلماته وينقل اليه السامع حيث يفهمه ما يريد .

وهذا عين ما هضمته الصوفية ، واذا فهمنا هذا فهمنا معنى قوله :

ولا تقيد عليّ لفظي فاني ... مثل غيري تكلمي بالمجاز

ولعمر الرمزية لم يكن يعني « بغيري » الا الصوفية اساتذته .

فانظر معي في هذا البيت :

رويدك لو كشفت ما انا مضمر ... من الامر ما سميتني ابداً باسمي

ألم تر الى هاتين الشفتين كيف تفتران عن ابتسامة ساخرة ، هذه السخرية التي ترمزها موسيقى البيت !!

واقرأ قوله :

جزى الله عني مؤنسي بصدوده ... جميلاً ففي الايحاش ما هو ايناس

الا ترى فيه الهزؤ والسخرية ؟ الا ترى ابا العلاء هذا الشاعر الرمزي يثور على رمزية القدماء ويهدمها بابتسامة وقهقهة .

« وفي الايحاش ما هو ايناس »

فهذا هو اللحظ الذي تحترمه الرمزية لفوائده . ومن فوائده اظهار نفسية الشاعر التي هي كل شيء .

والذي يراه ابو العلاء قادراً على ان يخلق هـذا الجو والتأثير بواسطته هو الموسيقى الشعرية . واننا نجد له في نثره العادي وفي شعره دون الشعر الرمزي هذه الموسيقى واليك هذين البيتين من اللزوميات مثلاً على ذلك :

اذا مدحوا آدمياً مدحت ... مولى الموالي ورب الامم . . .
له سجد الشامخ المشمخر ... على ما بعرنينه من شمم !!!

وقد انتبه ابو العلاء لذلك الى موسيقى الالفاظ :

فلست لهم وان قربوا اليفاً ... كما لم تأتلف ذال وظاء . . .

والى موسيقى البحور :

بقاني الطويل وفي البسيط ... واصبحت مضطرباً كالرجز . . .

فان قلت انه اراد من البيتين الاخيرين الاشارة الى العروض قلت ان هذه الفكرة التي تلوكها الافواه غير مصيبة ابداً وهو الذي يقول في مكان آخر :

وفرُ هذا الفتى مديد بسيط ... وافر كامل خفيف طويل
مدة فيه من نعوت القوافي ... ما لها غير شحه تأويل !!!

ولعلك ترى يا سيدي القارىء في هذه الشروح بعض الغموض فلا تنس اننا في حقل الرمزية المحبوبة التي احلت مـا لا يحل وقد احلت الخمرة والدف والمزمار والمرأة .

وهكذا نرى ان الرمزية الـتي هي سر من اسرار الادب تكشف لنا عن اسرار ابي العلاء وقد رأينا ان المفتاح الاول لهذه الرمزية انمـا هو تصوفه الصادق ورأينا ايضاً بعض رموزه في هذا الباب فاليك الان من رمزياته الصوفية (1)

قال ايضاً في الباء مع التاء من الكامل :

لو انني سميت طيفك صادقاً ... لدعوته غضبان او عتابا
قال الخيال كذبت لست بطارق ... ليلاً ولم اك زائراً منتابا !! . . .
فاجبته كم من كتاب زائر ... فاهتاج يحلف ما بعثت كتابا .
لا تثبت الاقلام زلة راقده ... ان كنت بدت بحلمه مرتابا . .
لم يعف ربك عن مصر مارد ... لكن تجاوز عن مسيء تابا

وهي كما ترى غامضة نسري في قراءتهـا بين كاذب وخيال وطيف وكتاب ونائم وحلم حتى اذا مللنا التطواف حول هذا المعبد المقدس وعزمنا على الرجوع رحمنا اله المعبد في هذا الليل الداج الذي نسري به واوقد على باب هيكله ناره وقال ادخلوها بسلام آمنين .

واذ بنا نسمع حديثـاً عن الله العفو الرحيم ونسمع صرير الاقلام ونسمع قراءة كتاب ونسمع اعتراض خيـال : فنتبين واذ بابي العلاء يعاتب اولئك الصوفية المرائين الذين يدعون انهم يرون الله طيفاً طارقاً يزورهم بعد مراسلات عديدة . فيحمل عليهم حملته الساخرة ويقول وفي ثغره ابتسامة هازئة :

لو انني سميت طيفك صادقاً ... لدعوته غضبان او عتابا . . .

ولا يخفى كم في « غضبان » و « عتابا » من السخرية والهزء المؤلمين يقول ابو العلاء : قد يزورك الله ولكن لا ارى هذه الزيارة الا عن غضب منك وعليك . ويستدرك نفسه ويبـدأ في نفي هذه الاوهام الكاذبة :

قال الخيال كذبت لست بطارق ... ليلاً ولم اك زائراً منتاباً . . .

وينهي القصيدة بنصح صادق لذلك المصر المارد :

لم يعف ربك عن مصر مارد ... لكن تجاوز عن مسيء تابا . . .

وهي قصيدة تثبت ما ذهبنـا اليه من انه صوفي يخشى على مذهبه من هؤلاء الذئاب الكاذبين الذين يستثمرون بساطة الشعب .

واليك القصيدة الثانية :

لن تريه ان كنت لا تريه ... ثابتاً خاتماه في خنصريه
لم يجد عند اكبريه سمواً ... فاعترى فضله الى اصغريه
ظل يستخبر النجوم عن الغيب ... فجاء اليقين من خبريه
قد مضت عنه الاربعون بلا حمـ ... ـد وذاك الاجل من عمريه
ليس من خلة الزمان على شيء ... ولو بات ثالثاً قمريه
قدراه ما بين موت وقتل ... هل يجوز النجاء من قدريه؟! .

وهي قصيدة كما ترى غامضة يخشى المرء ان يجزم بصحة مـا

---

(1) انا نورد القصائد كما جاءت في اللزوميات

توحيه اليه . يقرأ الرجل فيها وكأنه لا يقرأ . يقرأ فيها ويتأرجح مع الفاظها مع « خاقاه » و « غيب » و « قدريه » و « قمريه » ويشك ان تسعى اليه الفكرة الاولى عن شخصية المضاف اليه في « قدريه » و « قمريه » ان يجزم بصحتها . فيقف امام هذا الباب وبيده مفتاحنا الاول السحري واذا بابي العلاء يناضل اولئك الذين يدعون انهم يرون الله يتنقل معهم ويماشيهم — وهي فكرة كما ترى قد حلت من قلبه المحل الاول — فيحنق عليهم ولكنه يرى ان السخرية اولى بهم فيقول :

ايتها النفس الصوفية الكاذبة :

لن تريه ان كنت لما تريه ثابتـاً ...

وارجوك ايها القارىء ان لا تؤول هذه بفلسفة ارسطو القديمة . اذ ان الجملة تحتمل معنيين . نعم اذا قلنا :

لن تريه ، ان كنت لما تريه ، ثابتاً

نرى ابا العلاء ينفي الثبوت عن الله . وان قلنا :

لن تريه ... ان كنت لما تريه ثابتاً ...

نراه ينفي الحركة عنه تعالى . ثم الى جانب هذين المعنيين المختلفين نرى ان جو القصيدة جو ساخر ناقد !! وهل يجوز ان يحمل الكلام الساخر على حقيقته ؟ ثم أتدري بمن يسخر ؟ انه يسخر بمن يعتقد بوحدة الوجود !! هذه التي يمثلونها كما يقول الوصافي بقولهم « لا موجود الا الله » ويشبهون ذلك « بأمواج البحر فكما ان الامواج ليست سوى مظاهر وصور بالماء ، وكما انها لا وجود لها غير وجود الماء كذلك هذه الكائنات — (ونحن منها) — بالنسبة الى الوجود الكلي » . ثم اتدري ما كان جواب المعري على ذلك ! قال ان كل موجود يتصف بالحركة والثبوت معاً والجماعة تعتقد « بلا موجود الا الله » فان نفيت في بيتي احدى هاتين الصفتين ساخراً هازئاً سوف لن تفهمني الناس والفلاسفة واكتفى ان فهمتني الصوفية ، فقال :

لن تريه ان كنت لما تريه ثابتاً ...

ومما يدلنا ايضاً على هذه السخرية التي تكلمنا عنها وسنفصلها في القصيدة قوله :

خاقاه في خنصريه !! ...

ولعلها صدى قول احد العارفين المشاهدين . والله اعلم !! وهذه الفكرة التي نفينا بها عنده فكرة وحدة الوجود فكرة خطرة واننا لو لم نجد في القصيدة ما يؤكدها لاغفلناها ومررنا عليها . الا انه قال بعد هذا :

لم يجد عند اكبريه سمواً فاعتزى فضله الى اصغريه
ظل يستخبر النجوم عن الغيب فجاء اليقين من خبريه ...

وحاشا ان يكون هذا الكلام في الله تعالى وان تكون تتمة القول الاول . ولكنه وصف ابي العلاء لنفسه : لا اشيء بل ليغتنم الفرصة ويهزء بهذه الفكرة التي ينفيها الا وهي وحدة الوجود فذكر نفسه مع الله وقد قال الشيخ الاكبر مصرحاً :

فلولاه ولولانا لما كان الذي كانا ...

وقال ابو العلاء بعد هذا :

ظل يستخبر النجوم عن الغيب فجاء اليقين من خبريه ...

وهو بيت يصور لنا حالة الصوفي الطموح الذي يؤمن بانه سيصل يوماً ما الى حضرة نورانية تجعله يكشف عن الغيب لمقام هذا الصوفي عند ربه ، وهي عقيدة اورثتها فكرة وحدة الوجود ايضاً فاراد ان يهزء بها فقال ابو العلاء مصرحاً لا رامزاً :

لقد تصوفت وتقشفت ولبست الصوف وحرمت الطيبات كلها وغير ذلك ولم اصل الى شيء وها اني الان استخبر النجوم عن الغيب . والنجوم يا صاح خير من الانسان اذ انها كشفت لي عن اليقين : كشفت لي عن امريه :

الاول ان ابا العلاء — وهو يتكلم عن نفسه —

قد مضت عنه الاربعون بلا حمد وذاك الاجل من عمريه ...

والثاني انه ايضاً :

ليس من خلة الزمان على شيء ولو بات ثالثاً قمريه ...

اي اني قد تجاوزت الاربعين واني لم اتخذ الزمان خليلاً رغم ما توصلت بقلبي ولساني الى ان اكون ثالثاً بعد الشمس والقمر .

ولا يخفى على القارىء ما بهذا الكشف من هزء وسخرية . وقال لهذا الصوفي ان ما اقوله لك هذا هو الحق فصدقه وافتح له قلبك وعينيك وان لم تفعل — وان تفعل — فارقب ساعة الموت فسترى وضح ما اقول :

قدراه ما بين موت وقتل هل يجوز النجاء من قدريه ...

وهكذا نرى ان المفتاح الاول لرمزية المعري انما هو تصوف شاعرنا .

ولعلك تسخر بي لهذا القول بعد ما كشفت لك عن رمزيات كلها شتم وسخرية وغض من قيمة الصوفية ونفي فكرة وحدة الوجود ولكن لا تعجل وارجوك ان لا تنس قوله :

ولست اعني بهذا غير فاجركم ان التقي اذا زاحمته غلبا ...

فابو العلاء صوفي وان كان لا يعتقد بوحدة الوجود وليست

وحدة الوجود هي التصوف الاسلامي . قال الجنيد : التصوف هي ان تجلس ساعة متعطلاً عن ملاحظة كل شيء الا الله . بيد ان وحدة الوجود فكرة فلسفية قديمة تمسك بها هؤلاء الصوفية لانها تؤدي بهم الى الحلول .

وتصوف ابي العلاء هو التصوف النقشبندي نعم هذه الطريقة التي لا تطلب منك لا ان ترقص ولا ان تضرب الدف ولا . ولا . بل تدعوك الى زاوية رفرف عليها الظلام وتلقنك الكلمة الطيبة « اعني لا اله الا الله محمد رسول الله للوصول الى الله تعالى ومشاهدة الحق كأنك تراه وتكون بالقلب . » وهي طريقة تحفظ لله حقوقه وللنبي حقوقه وللمرء حقوقه . وانا لنجدها عينهـا في رمزيات المعري قال :

واجمل تـقاك الهاء تعرف همسها ... والراء كرّرها الزمان مكرّرُ

وهو بيت غامض الا انه خلاصة هذه الطريقة التي ظل يدافع عنها ، والهاء رمز الكلمة لا اله الا الله . والراء محمد رسول الله . وكم كرر هذه الراء والهاء مكررون !!!

وبرهان ثان على تصوفه هذا هو ان الصوفية الذين فهموه وهم يعتقدون بوحدة الوجود لم يذكروا في كتبهم اعلام هذه الطريقة التصوفية ، وقد اهمل الشعراني في كتابه « لواقح الانوار في طبقات الاخيار » اسماء السادة النقشبندية كلهم وذكر غيرهم ممن يعتقدون حتى بالحلول .

ولا اخفي عليك انني ذهبت اسأل عن هـذا احد هؤلاء النقشبنديين وهم معروفون في دمشق ولهم زوايا عديدة — فابتسم ثم سألته هل تعتقد السادة النقشبندية بوحدة الوجود فاجابني فوراً وقد برقت عيناه ومدّ الي بصراً نافذاً القى الرعب في قلبي « انها الضلال انها الضلال » وسكت ثم عاد « انا حفظنا لله حقوقه وللنبي حقوقه وللمرء حقوقه » فقلت — وما نظرت اليه — وما تصوفكم اذاً ؟ قال : « ان نكون مع الله بالكلمة الطيبة » .

وفي دمشق اكثر انواع هذه الصوفية . وفي المدينة فقير صوفي يطوف الاحياء بزهره فتسارع اليه الاطفال صارخة : الله . فيجيب : هو ويضرب بزهره ويقفز . وقد ذكرتني هذه الهاء هاء المعري وودت لو اتحدث اليه ولكنني لم اتمكن حتى اليوم .

وما لنا وهؤلاء . هيا للمفتاح الثاني . .

والمفتاح الثاني هو نفسية المعري التي مافتيء الكتاب والشعراء يحللونها ويتدارسونها : كبرياء في انانية في شفقة في عقل سليم في بغض للمرأة في ميل للهدم في تشاؤم في كره للحياة الدنيا في خوف من الموت في دين في ايمان الى ما هنالك من رموز تمسك بها الناس كأن قد فقد كل شيء سواها .

وهو مفتاح يطلب منا ايضاً وزن الكلمات وادراك كل ما في ذلك الجو الشعري الذي يخلقه المعري لنفسه باشياء لم يشاركه فيها احد وتعابير هي في الحقيقة علائية .

وان كان المعري الصوفي قد رمز في القسم الاول من رمزيته لتفهمه الصوفية فقط فانا نراه الآن يرمز تارة للنحويين وتارة للرواة وتارة للغويين واخرى يرمز لنفسه وفي كل هذا يرغب في ان يرضي ميله الفني الرمزي .

ومما هو جدير الآن بالذكر هو ان رمزياته كلها لم تكن عن تقية ابداً واذا دققنا في اللزوميات وجدنا شاعرنا يجهر باعتقاداته كلها ولا يخشى احداً ، فيعـارض التشريع الاسلامي ويهزء بالديانات والبدع والفرق وينتقد المجتمع وغير ذلك بابيـات واضحة كل الوضوح بيد انها مغروسة بين اشواك وازهار تلهي السامع وتخفف من حميته ، قال :

انا جائر ظـالم ... ومولاي بي عالم . .
فيا لك من يقظة ... كأني بها حالم !!

واللزوميات تغص بمثل هذا . .

واتعجل الآن لاقول لك ايها القارىء العزيز ان هذا المفتاح انما هو مفتاح نكات ظريفة الا في قصيدة واحدة ، قال :

اعللت علة قال وهي قديمة ... اعي الاطبة كلهم ابراؤها

أفتدري ماذا اراد بهذا الرمز؟. انها بكل بساطة علاقة نحوية بينه وبين الافعال لعلها عن وحدة الوجود والله اعلم . . . قال معتل العين وابو العلاء معتلها ايضاً . وقال ايضاً :

أقمت برغمي وما طائري ... براض اذا ألفته الوكون
ولي امل كأتم القنا ... وحال كأقصر سهم يكون
فيا ألف اللفظ لا تأملي ... حراكاً فما لك الا السكون!!

طائره هو روحه وقد عبر عن نفسه بالف اللفظ لعلاقة لفظية بينه وبين الحروف لا اقول عن وحدة الوجود بل عن وحـدة في السكون !! .

وقال ايضاً :

آذنتنا بأمر فادح اذن ... وانما قيل آذان لايذان
شمس وبدر انارا في ضحى ودجى
لآدم وهما لا شك هذان

وقد يتوهم القارىء ان في البيت الاول رموزاً غامضة فأقول



المعري بريشة رضوان

له هو بيت رمزي يرينا علاقة لغوية بين اذن أبي العلاء وفعل اذن ، وديوانه ملآن بمثل هذه العلاقات وهذه النكات .

ولا بدلي قبل ان ابدأ الكلام عن هذه القصيدة الرمزية الجميلة :

عجبت لورقاء الجناحين همها   اذا غني الاقوام بالمال فقرها

لا بد لي من ان اذكر لك هذه الابيات الرمزية اللاوعية الفنية قال :

لعمري لقد ادلجت والركب خائف   واحييت ليلي والنجوم شهود ..
وجبت سرابياً كأن اكامه   جوارٍ ولكن ما لهن نهود ..
تمجس حرباء الهجير وحوله   رواهب خيط والنعام يهود ..

وفيها كما ترى ما يحملنا الى جو هذا الشاعر الهازىء ، هذا الشاعر الذي اراد ان يروح عن نفسه دون ان يشعر بذلك الخلق . يفتخر انه ادلج واحيا ليله ولم يخش احداً بينما الركب كله خائف ! ولكن أي ليل هذا ؟. كلا لا تظن انه ليلنا هذا الذي يمر كلمح البصر وما في قيامه افتخار لكنه كان يعني بادلاج اسمى ادلاج للحقيقة : وهو بيت يصور لنا عصر ابي العلاء ايما تصوير

ويكفيك منه هذا الطباق الاجتماعي خوف الناس عامة من اشباح هذا الظلام وطمأنينة المعري بل رفع عقيرته بالحق . وقال :

وجبت سرابياً كأن اكامه   جوار ولكن ما لهن نهود ..

وقد اراد بهذا البيت ان يضحك هذا الضحك الذي حرمته اياه الايام ، فجاء بهذا الرمز الذي ليس له معنى على كل حال واسمعه يشرح ابياته في متن الهندية ، قال : « اكامه جوار هذا لغز — وفي حديثنا رمز — أي كأنهن يجرين في السراب، الغز عن الجواري من الناس . ونهود نهوض من نهد اليه ينهد الغز عن نهود الجواري » هذا ما قاله المعري نفسه في متن الهندية وكأنه رأى الحاجة ماسة الى شرح شعره الرمزي الغامض فشرح بعضه وترك البعض الآخر قوله :

تمجس حرباء الهجير وحوله   رواهب خيط والنعام يهود ..

رمز جميل بل صورة رمزية ترينا الحرباء تستقبل الشمس كالمجوس ومن النعام السود .

والآن اليك القصيدة برمتها . قال :

عجبت لورقاء الجناحين همها   اذا غني الاقوام بالمال فقرها
غدت امس في قرية صفرية   بقرية يوعى بها الزاد نقرها
فما اخذت الا ثلاثاً ونحوها   من الحب حتى جاء بالحتف صقرها
وما رجعت يوماً الى عقر دارها   وكان بذاك السهم في الجو عقرها
ارى ادم الظلماء يعقب شقرة   فتودي بها حمر الجياد وشقرها
فعظم اخا النسك التقي لدينه   ونفسك فاحقر نافع لك حقرها
ولا تقرأ الكتب المضال درسها   وقد وضحت طرق الهداية فاقرها
فيا مهجة كالعود امست مناخة   اذا شكت الاثقال ضوعف وقرها
متى سمعت اذني مقالة ناصح   اتيح لها عن قائل النصح وقرها

وماذا اقول فيها ؟ ترى أيكفي ان قلت لا اسف على الديوان يحترق ان نجت هذه القصيدة بنفسها ؟. واني اراها تكفي وحدها لاظهار كل ما في الكتاب وكل ما شرحه النقاد في ما يتعلق بنفسية المعري وادبه . فلنشرح رموزها قبل كل شيء ثم لنرمز كل ذلك .

فانك ان اخذت الابيات الاربعة الاخيرة وجدتها تصلح ان تكون حكماً سائرة مثلاً وما فيها من الغموض شيء يذكر ولكن أتظن ان المعري لا يبغي من ورائها شيئاً ؟ أتظن انه لم يفكر في ترتيب افكاره كلها وجعلها سلسلة يشد بعضها بعضاً ؟. انا لا اشك في ذلك ابداً ! وقد رأيتني في كل قصائده الرمزية استعصم بحبل الفكرة في ظلام الرموز حتى آنس النار عن بعيد فاتأكد واجزم ... وهذه النار تكون غالباً في اواخر قصائده . واول ما دعا انتباهي هنا هي كلمة « فقرها » ووجدت ان الهاء تعود الى

« ورقاء الجناحين » اي تلك المرأة الفقيرة التي شبهها ابو العلاء بالطير لوداعتها وجمل ردتي الجلباب البالي جناحي ذلك الطير ووصفها بالاورق اي لون الرماد وهذا اول رمز في القصيدة ، وقال ، هذه الفقيرة :

غدت امس في قرية صفرية بقربة يوعي بهـا الزاد نقرها

قرّيه الاولى نسبة الى قر اي ليلة باردة وصفرية من شهر صفر، وقربة الثاني بفتح القاف وكسر الراء وفتح الياء المشددة هو حوصلة الطير . ولا اريد بعد هذا الا ان ارمز هذه الحالة التي لا يجهلها كل منا والتي هي شباك المرأة العفيفة التي تجعلها تسخو بحوصلتها الثمينة . وكأني بابي العلاء قد خجل فرمز . ثم قال :

وما اخذت ثلاثاً ونحوها من الحب حتى جاء بالحتف صقرها

والالفاظ واضحة الا انه يراد منها غير معناها الظاهر : فهذه المسكينة التي تزوجت وتنازلت عن عرشها ، ها هي الان ارملة ، ارملة ويا للقدر ، ارملة وفقيرة . ارملة وفقيرة وفتاة وعاهرة

فما رجعت يوماً الى عقر دارها
كأنها الله برحمته لقد انتحرت !!
وكان بذاك السهم عقرها !..

ويا ليتها لم تتزوج ..

رواية يمثلها على مسرح الحياة الف رجل والف امرأة ولكن اين من يعتبر . قال صبري باشا : تعب الفيلسوف في الناس عصراً .

وفيلسوفنا المعري قد تعب كل التعب : قد عرف الحياة وفهم اسرارها وعرفها للناس ولكن « هل من مدكر » !!!

وهذا البشر النشوان ألا يسمع ام يرعوي !! أهو في غنى عن حديثي ؟.. أأظل ارمز فلا يفهمني ! كلا . ان حق الادب لا يفوق حق الشعب . ويشفق ابو العلاء — وجو القصيدة كلها شفقة ورحمة كما رأيت — ويصرح بالقول ويجيب اولئك المغترين بظاهر الحياة الباسمة . نعم :

ارى ادم الظلماء تعقب شقرة ...

ولكن :

فتودي بها حمر الجياد وشقرها

وهو رمز معناه ان الانسان في عذاب متواصل :

فعظم اخا النسك التقي لنسكه ونفسك فاحقر نافع لك حقرها

والصلة بين هذا البيت والابيات السابقة هو جهـل الرجل البسيط وعلم اولئك الناسك بمثل هذه الامور .

ولا تقرأ الكتب المضل درسها وقد وضحت طرق الهداية فاقرها

وهو قول يذكرني :

لعمري لقد ادلجت والركب خائف واصبت ليلي والنجوم شهود

لما فيهما من وجه شبه فارجع الى شرح هذا البيت

ويقول :

فيا مهجة كالعود امست مناخةً اذا شكت الاثقال ضوعف وقرها
متى سمعت اذني مقالة ناصحٍ اتيح لها عن قائل النصح وقرها ..

وهما نار هذه القصيدة كلها يقول للمتزوجين انتم تتعذبون في نشوتكم وانا ناسك قد عرف الحياة وتفهمها ، أتطلبون مني ان اتزوج ؟ . فماذا يكون اذا مت ؟ لن اتزوج ولن اشقي من بعدي احداً . وكفى

والرمز الان ما تحدثنا عنه فوق : جو القصيدة جو شفقة ورحمة وقد كان شاعرنا رحيماً شفيقاً .. وفي القصيدة حديث العزوبة وقد كان صرورة لم يحج ولم يتزوج .. وفي القصيدة التشاؤم والسخط وقد كان متشائماً ساخطاً .. وفي القصيدة انواع البديع وقد كان يوشي قصائده بذلك .. وفي القصيدة فن القصة وقد كان قاصاً ماهراً وفيها اخيراً فن الرمزية الحديثة وقد كان صوفياً رمزياً .

والخلاصة : رأينا ان ابا العلاء شاعر رمزي كوّن لنفسه مدرسة رمزية خالدة تقوم — كما رأينا — على انتباهه لقيم الالفاظ الموسيقية وقوتها التعبيرية ، وتقوم ايضاً على كونه صوفياً وبرهاننا الجديد على ذلك رمزية ابي تمام المحدودة . ولم يكن ابو تمام رمزياً ولم يعرف ما الرمز لانه لم يكن صوفياً .

ورأينا ان لهذه الرمزية العلائية الخالدة مفتاحين سحريين :

المفتاح الاول : تصوف ابي العلاء وعمله بآراء الصوفية وطريقتهم التعبيرية رغم ما رأيناه من ثورته عليها .

المفتاح الثاني : نفسية المعري الفذة .

وغيره من رموز هذه المقالة المبتكرة التي نزلت ضرة على قصائدنا الرمزية وحلت من قلبنا محل الهوى وهي كما تراها قصيدة رمزية مفاتيحها فيها .

دمشق عدنان الذهبي

زهرة ذابلة

☆

يا زهرتي ، آه أيا زهرتي ... أين من الروض عجيب الرواء!
أين الفراشات ! فذا صبحها ... زاه يوشيه وميض الضياء
وأين من مسمعي اغرودة ... يشدو بهـا طير رقيق الغناء
اقلّب الطرف فلا تلتقي ... نظرته الولهى بذاك البهـاء
ويخفق القلب بآمـاله ... يرجو ، وما يخنو عليه الرجاء
ما هان عندي ان ارى زهرتي ... سليبة العطر ، بكف العفاء
ذابلة تذوي على غصنهـا ... والغصن مخضل ، غضيض النماء
والروض يختـال بازهاره ... ولم يزل في الروض ظل وماء
ناصلة اللون ، فـلا حمرة ... فيها ، وما للطير منها انتشاء
ان بعثت انفاسها في الضحى ... او رنحتهـا نسمات المساء
ألفيت في جائش انفاسها ... حسرة قلب اخلفته الدماء !

•

يا زهرتي ، آه أيا زهرتي ... لو يبعد اللوعة فيض البكاء
قد كاد يجفونا ربيع الهوى ... وتمـلأ الجو رياح الشتاء
إنا مللنا اللبث في ذا الثرى ... وملّنا منزلنـا والبقاء
وقد تقاسمنا الاسى ها هنا ... يا زهرتي، ما حظنا في السماء؟!

البصرة ... رزوق فرج رزوق

الضرب في المـــــدارس

بقلم امين الغريب

كلنا نذكر من عهدنا في المدارس معلمين امتازوا على سواهم بقسوة القلوب وفظاظة الطباع . وآباء متهافتين على تعليم اولادهم يجرونهم الى المدرسة قائلين للاستاذ الطاغية الغشوم « اللحمات الك والعظمات الي » . وكان المعلم الشرس يقوم بالواجب دون تقصير . فيجعل المدرسة في نظر الولد المرتاع ناحية من جهنم . فيبتعد عن العلم مفضـلا الجهل مع حفظ الكرامة ، على العلم مع الذل والهوان .

ان الضرب لا يعلم . والامتهان لا يعلم . قال فنلون الفرنسي : « ان الضغط لا يقنع الناس . بل يحولهم الى مرائين » .

جميع المدارس الداخلية والخارجية عنـدنا تدعي ان الضرب ممنوع فيها بتاتـاً . وهو قول هراء ، ودعوى فارغة . فالاولاد مطبوعون على حب المخالفة للقوانين . ولكن ليس كل الرجال ولا كل النساء مخلوقين ليكونوا اساتذة ومعلمـات ، ولا يصلح اي انسان كان لتقويم اخلاق الصغار . اجل ان سليمان الحكيم قال : « ان احببت ابنك فهيء له العصي حزماً حزماً » لكنه وصى بذلك الوالد بولده ، لا المعلم بتلميذه ، فان في الضرب شيئـاً غير الالم ، فيه اذلال للنفس ينال الولد من ضاربه الاجنبي ولا يناله من ابيه ، وهذا مادعا الحكومات الراقية الى منع الضرب على الاطلاق

وفوق ذلك عندنا من هو اكبر من سليمان ، عندنا السيد المسيح فالأولاد في عهده كانوا كما هم اليوم ومع ذلك لم يضربهم ذلك المعلم الاكبر ، ولم يعذبهم ، بل انتهر معرقليهم قائلا : « دعوا الاولاد ولا تمنعوهم ان يأتوا الي » . ونبه الآباء والامهات والمعلمين والمعلمات الى افضلية الاطفال عليهم قائلا لهم بكل صراحة : « ان لم تعودوا انتم كهؤلاء الصغار فلن تدخلوا السماء » . وذكر الاولاد مراراً ، ولكن بدون زجر ولا تونيب ، بل ببهجة واعزاز واكرام .

حفظ الاسكندر الكبير على معلمه انه صفعه في صغره صفعة ظالمة ، فاستدعاه يومـاً وناقشه الحساب ، فاعتذر المعلم بقوله : « عرفتُ يا مولاي انك واصلٌ يوماً الى الحكم في الرعايا ، فرأيت ان أذيقك ما في الظلم من مرارة . فرضي الاسكندر عنه بعد ما كان ناوياً ان ينزل به العقاب ، ووضع اساساً الرفق بالاولاد والكيفية تعليمهم فيما بعد . لكنه رضي عليه لما ابدى في حسن التخلص من الذكاء ، لا على تلك الصفعة الاليمة .

ولعمري ان كلا منـا يحفظ في قلبه حساباً مع احد معلميه مثل الاسكندر ، فالاستاذ العنيف القاسي الغشوم ليس هو الذي نحفظ له في اذهاننا اطيب الذكريات ، ومهما يكن عذره فليعلم اولا قول الشاعر :

ان القلوب اذا تنافر ودها ... مثل الزجاجة كسرها لا يجبرُ .

في البلاد الراقية يمنع القانون ضرب التلاميذ ، والقانون محترم من واضعيه فهم ينفذونه في مخالفيه والاستاذ الذي يضرب تلميذاً تعاقبه الحكومة بالحبس او الجزاء النقدي . ففي اواخر ت ٢ ١٩٤١ اعلنت وزارة معارف لبنـان استعدادها لمعاقبة المعلمين والمعلمات الذين يضربون التلاميذ والتلميذات رغم التنبيهات المكررة فالقانون اذاً موجود عندنا ايضاً ، لكن التلاميذ يعلمون اكثر منا ان بين وجوده وبين تنفيذه فرقاً عظـيماً ، وأياً . والقوانين كواضعيها اذا أهملوها نعست ونامت ، ولذلك اشتهر بين التلاميذ بعض المعلمين اشتهار نيرون وطيباريوس في التاريخ . وكم من معلم روت الجرائد ان دمه الامبراطوري فار حتى الغليان ، وظل يضرب ولداً صغيراً حتى اعدمه الحياة ، كما جرى في بيروت سنة ١٩٣٠

روت الجرائد التركية سنة ١٩٣١ ان احد الطلبة في مدرسة قباطاش من اسطنبول شكا الى المحكمة ان استاذه ضربه بالمسطرة على كفيه ، واستمع القاضي هذه الدعوى باهتمام ، وأنب المعلم على همجيته وقال له انه قاسي القلب صخري الكبد ، ثم حكم عليه بالسجن اسبوعاً كاملا .

على ان القول بامتنـاع الضرب في مدارس اوربا لا يخلو من مبالغة ، ففي انكلترا مثلا كانت مدارس النبلاء المشهورة ونشستر وايتون ورغبي وهارو لما تزال الى ١٠ قبيل الحرب محتفظة بالسوط والفلق تعاقب بها ابناء الدم الازرق ، مع ان القانون البريطاني يمنع الضرب . لكن الغريب في الامر ان تلاميذ هذه المدارس حملوا آباءهم ومعلميهم على السعي لدى الحكومة فاستثنت مدارسهم من

قانون منع الضرب تمييزاً لها على سواها . مع ان نبلاء الاجيال الماضية كانوا يرسلون مع اولادهم خادماً فاذا اذنب الولد او تكاسل ضرب المعلم الخادم ، وهي طريقة نحسبها اليوم همجية مضحكة ، لكن اولئك النبلاء كانوا يرون فيها فائدة مزدوجة ، اذ يثقل على الولد النبيل تعريض خادمه المسكين للضرب والهوان فيجتنب الطيش والكسل اكثر منه لو كان هو الذي سيلقى العقوبة .

هكذا لا تزال الى اليوم في أرقى الدول ظهور عالية تقرع بالعصا واقدام نبيلة ترفع بالفلق ، وأغرب من ذلك ان يحسب في نهاية السنة ثمن السياط على كل تلميذ تمتع بوقعها الاليم ، على ظهره الكريم .

وعندهم اصول للجلد بالسياط يتفننون في اتقانها ، فيضربون النبيل الصغير وهو راكع ، واذا لحظوا انه لا يجيد الركوع اركبوه ظهر ولد كبير بشد وثاقه .

اما الفلق ، فاعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق . ولكن في لندن جمعية مشهورة اسمها « جمعية الفلق » لا يتشرف بالانخراط في سلكها الا النبلاء الذين « أكلوا الفلق » في ايامهم المدرسية من عشر مرات فصاعداً . وفي صدر قاعتها فلق اصلي مسحوب من كلية ايتون سنة ١٨٣٦

ويؤثر عن اللورد سالسبوري كبير ساسة الانكليز في عصره بعد غلادستون ودزرائيلي انه « أكل » ١٨ فلقاً مدة وجوده في كلية ايتون وقد ذكر ذلك علانية في خطبة له في مجلس اللوردات وقال انه كان يركع نصباً فتربط قدماه بالفلق . ولما ضحك بعض اللوردات استوقفهم بقوله ان سجلات المدارس لا تعفي احداً بين الضاحكين من مثل هذا التاريخ المجيد .

ومن الآثار الشهيرة المحفوظة في متحف ايتون فلق تشرف مرة برفعه عن الارض قدمين عزيزتين على قلوب الانكليز جميعاً ، وانزل بهما ضرباً موجعاً ، هما قدما الولد الذي صار فيما بعد « الدوق ولنتون » قاهر نبوليون في معركة واترلو .

اما الذين لم « يأكلوا فلقاً » ، اثناء دراستهم فنادرون ، ومنهم غلادستون الذي اوشك مرة واحدة ان ينال هذا الحظ لكنه لم ينله ، فقد انابه الاستاذ عنه في غيابه وهو لم يضع اسم صديق له في لائحة المذنبين ، فعده المعلم خائناً للعهد وارسله الى المدير الدكتور كيت ، فلما قرأ هذا التهمة ناداه قائلاً : تعال يا خائن العهد ، فاستأذن غلادستون الصغير واعترض بانه لم يخن عهداً ، لان الوكالة ألقيت على عاتقه رغماً بدون اختياره ، والعهد لا يكون الا مختاراً . فأعجب المدير بهذه الصراحة البارعة وعفا عنه .

ولم يكن العفو من شيم هذا المدير ، فهو قد سمع مرة بثمانين تلميذاً يحركون رفاقهم على الاعتصاب . فأخذ في منتصف الليل يوقظ كل اثنين منهم على حدة كيلا يدع لهم وقتاً للتداول ، فيضع لكل منهما قدماً في الفلق الواحد ، ويبرّح بهما ضرباً .

وهناك مدير آخر لايتون يدعى القس هوتري . كان المعلمون يرسلون اليه كل يوم لائحة باسماء الطلبة المذنبين ليتولى معاقبتهم . وجاءته في احد الايام هذه اللائحة . لكنها بغلطة مأسوف عليها جداً – مأسوف عليها من التلاميذ لا منه – لم تكن هذه لائحة المقصرين بل مستحقي المكافأة ، وقد ارسلت خطأ اليه ، فأخذ يضع بالمناوبة اقدامهم في الفلق ، ويضربهم بشدة ، رغم احتجاجهم الطويل العريض ، قائلاً : « اذا كان هناك من غلط فليس تصحيحه من شؤوني » .

لكن هذا السلوك ان كان جارياً حتى اليوم في بعض مدارس العالم فلا ينبغي ان يعزّي تلاميذنا او يبرّر الهمجيين من معلمينا ، بل يدل على رأي خاص يراه اصحابه ولا شأن لنا فيه . اما نحن فنعتقد ان المدرسة التي جعلت للتهذيب يجب ان تكون بمعلميها مظهراً صريحاً له . فالتهذيب انما يتم على ايدي المهذبين دون سواهم .

وقد عرفنا عن بعض من ارقى الدول كالولايات المتحدة وفرنسا وسويسرا واسوج ونروج ان مدارسها لا تيأس البتة من اصلاح التلاميذ المقصرين والطائشين . بل تفرزهم عن الباقين فيفحص علماء الطب جسومهم ويراقبون حركاتهم طويلاً . فالقاعدة المشهورة اليوم ان الشر ينتج في النفوس عن مرض خفي في الاجسام او خلل في تركيبها فيعالجونه بالتؤدة وطول البال . وعند ذلك لا ادري اين يخبىء المعلمون القساة رؤوسهم .

اثناء وجودي في الولايات المتحدة الاميركية كان يدهشني ، فوق عظمتها وضخامة مبانيها ومشروعاتها الجبارة ، شغف اطفالها بالمدارس واقبالهم عليها كما يقبل اطفالنا على رحلات النزهة مع اهلهم في الاعياد . ولا يفسر هذا الشغف الا بلطف المعلمين والمعلمات واستخدامهم اساليب التعليم المقنعة للاولاد لا العصي القاسية على ظهورهم الطرية . ولم اذهب الى البرازيل . بل كانت لي شقيقة فيها ، رحمها الله ، اخبرتني في عرض الحديث عن اولادها ان اشد قصاص يستعظمه التلاميذ المذنبون هناك ، هو منعهم قبل الانصراف مساء ، من تقبيل راية الوطن المنشورة على الباب .

امين الغريب

يا غزالتي !

مناجاة غزالة جئت بها من موطنها في الصحراء ، فلم تتحمل حياة المدينة فماتت وجداً وحزناً

ما اكثر انسك هذه الليلة !

فقد كنت لا تجدين في منزلي الا الوحشة والضيق ،

والآن كأنما انفرجت عنك هذه الوحشة ، وجئت تجلسين بين قدمي . . .

جئت بلونك الرمادي الذي يموج تحته لون الصحراء !

وغادرت رفاقاً لك يسرحون بهذا اللون . .

الى – مثلي – ترينه الآن منصرفاً الى الكتابة والتفكير

كأنما تقولين : ما هذا الكائن الذي يقضي الليل منصرفاً عن جمال الليل ! وقد كنا – اذا اشتمل علينا الليل – نذب الاشباح، ونجري مع الرياح . .

لا : يا غزالتي ! ليس الليل لنا !

لنا ليل ثقيل الظل ، متغور النجم ، غائم البدر ،

ولكم ليل راقص العرائس ، رخي النسائم

يا غزالتي . . .

ألمح على وجهك اكتئاباً برغم هذا الصفاء الذي تجود به عيناك كما تجود عين المحتضر بحشاشة الضياء !

تقولين : أف لهذه الحياة الضيقة بعد اتساعها !

أيروقني بيت لا يمتد مقدار وثبة من وثباتي . . وانا التي كنت اذرع الصحراء الواسعة فأراها ضيقة بمقياس يدي وقدمي !

يا غزالتي . . .

ليتني افهم بغامك وتفهمين كلامي !

كلانا – هنا – غريب في هذا المكان ، بعيد عن صحراء تعرفينها ، وعن صحراء اعرفها !

لقد احببت صحراءك كثيراً ، وطالما تمنيت – كلما شققت فيها درباً – لو اكون ذرة من ذراتها تقليني الريح كلما خفقت . . اذاً لحملتني عوالم كثيرة ، ووقفت على عوالم كثيرة . . ولكني في كل هذا لا اخرج عن حد الصحراء . . ومن معجزة الصحراء انها تأخذ ولا تعطي ، وتقبل ولا تجود ، كأنها عاصمة الموت . . فالذرة التي فيها لا تقدر الريح على اخراجها من مملكة الصحراء مهما ثارت . . فهي تتقلب فيها وتتوثب ولكنها لا تذهب .

اقتربي مني يا غزالتي !

فانك تشمين بي ريح الصحراء التي تركتها مرغمة ،

واني اشم بك ريح صحرائي التي تذهب نفسي خلفها حسرات .

فما ابعدنا اليوم عن هذه الصحراء !

لقد قطعت الحياة كل سبب منها بننا ، حتى الريح التي ترفر فوقنا ليس فيها شيء من ريح الصحراء . .

انت تحنين الى صحرائك

وانا احن الى صحرائي . .

وكلانا مبعد غريب !

يحثنا شوق ملتهب ويضرمنا حنين بعيد !

ولكننا خلقنا وسائل التعزية لانفسنا . .

وأبدعنا ما يقرب منا هذه الصحراء . .

خلقنا الفن والاحلام ، وعالماً من الاوهام !

حتى باتت الحياة ناعمة مع سأمها ، خفيفة مع ثقلها !

فنحن نطوف – من هذه الكتب – في زوارق ذهبية ، الى عوالم سحرية ! ايماننا بها اشد من ايماننا بالحقيقة . .

وانت يا غزالتي الاتنسجين الان حولك ما ينسجه الفنان حول نفسه . .

ألا تفكرين في الصحراء ، وتفنين في التفكير فيهـا حتى تجديها بآمادها وابعادها على هذا البساط الضيق .

ألا انسجي كثيراً من هذه الاحلام . ففي الاحلام تعزية لك .

ووسعي فضاء المثوى الذي انت فيه حتى يحول صحراء .

فما اضيق الحياة لولا احلامك التي تنسجينها حولك !

وما أضيق الحياة لولا احلامنا التي ننسجها حولنا !

*

في الصباح رأيت غزالتي لا تزال هاجعة في موطىء قدمي ، فحركتها فتحركت عن عينين من زجاج فعرفت ان الاحلام قادتها الى صحرائها التي لقيت الموت شوقاً اليها .

يا غزالتي !

لقد بلغت انت صحراءك ،

فمتى ابلغ انا صحرائي ! . . .

حلب — خليل هنداوي

بينها وبين الناس

بقلم رشاد المغربي دارغوث

قصة

لم يكن روحي بك ليحسب ان الاقدار ستسيره الى هذا المصير . وهو الذي بدأ حياته استاذاً في المدرسة السلطانية ، بعد ان تخرج من جامعة استامبول بتفوق ، وكلفته الشهادة آخر فلس ورثه عن ابيه ، « سائس باشي اسطبل السلطان » .

فقد عاش روحي بك ما عاش في وظيفته لا يتصل الا بالطلاب وذويهم . فاذا اضطرته الظروف الى معاشرة صنف آخر من البشر كانت علاقاته بهم تقف عند حد السلام والكلام وهذه المجاملة التي لا يحسنها مثل الشرقيين احد . فاذا الجيء الى مساومة بياع ، توردت وجنتاه بجمرة الغضب ، وانتفخت اوداجه غيظاً ، وراح يقذف في وجه الرجل رشاشاً من الزبد وسيلاً من الشتائم البريئة . او ينبري شارحاً نظرية دارون لصياد طرق باب البك يسأله عما اذا كان بحاجة الى سمكاته التي لا تنفك « تلعب » . او يعلم اسكافياً ، اصلح له حذاء ابنه الوحيد ، ما يجهله من قوة الجذب في قطعة الحديد التي يستعملها لجمع المسامير المبعثرة .

وقد شاع في الناس ، والاوساط التي يرتادها روحي بك ، ان هذا « الخوجا » مرب كبير ، ومعلم عظيم ، يؤدي رسالته التهذيبية حيثما اتفق له ذلك على الوجه الاكمل لا في المدرسة فحسب ، وقد اصبح لها مديراً في حين من الدهر .

الا تلامذته فهم لا يعترفون له بتلك المقدرة ، ولا بذلك الاخلاص . ويروون حكايات لا اول لها ولا آخر كقصص الحيات ، يودعها اولئك الماكرون خبث الناقد المغرض ، وتشفي المنتقم الاثيم .

ولعل روحي بك كان اعلم الناس بما عنده من نقص في ثقافته اللغوية والعلمية على حد سواء . ولكنه لم يكن من هؤلاء الذين يرضخون للحق ، ويقرون بالخطأ اذا ما نبهتهم اليه ، او يرجعون عنه اذا ما تورطوا فيه .

فقد نشأ في احضان أب شركسي نال لقبه « الرفيع » بعد ان انفق في سبيل الحصول عليه آلاف القروش الذهبية ، وكانت امه من اصل كردي انتهت اليه خصائص العرق متباورة . .

والناس يذكرون لليوم رأي روحي بك « اللغوي » ، يوم اثيرت في بعض الاوساط العلمية قضية تعريب الالفاظ الاجنبية الشائعة في البلاد منذ عصور . فقد اصر على انه يكفي ان نضيف الى الكلمة (ال) التعريف لتصبح عربية المتن فصيحة التركيب . فسينما ، وقبضاي ، وفوتيل تصبح عربية محضة بمجرد قولك : السينما ، القبضاي ، الفوتيل !

وقد ظل روحي بك مديراً لاكبر كلية في المدينة زهاء ربع قرن ، يستظل بشهادته واسمها الرنان ، ويستقبل الصدمات بصدر رحيب ، وصبر عجيب . فتخرج على يديه مئات من الطلاب راحوا ينشرون في البلاد احاديث عنه وعن جهله . وانضم اليهم جيش كبير من هؤلاء الذين كرهوا ان تهب الطبقات العاملة ، بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ ، الى ارتشاف العلم في مناهله ، حريصين على ان لا يفوت اولادهم واحفادهم ما فاتهم منه . واذا جيش من الساخطين يترحمون على جهل الماضي البعيد ، وعلم الامس القريب ، يوم كان ابن الذوات — دون سواه — يكتفي بتعلم الكتابة والقراءة وشيء من الحساب ، ليشخص بعد ذلك الى استانبول حيث « يتوسط » شفيعاً لنيل وظيفة ، ثم يعود حاملاً « ارادة سنية » بـ ٥٠ قرشاً راتباً شهرياً ، او ١٥٠ قرشاً تدين له بها الرقاب : فهو كاتب التحريرات في ديوان المتصرف ، او مدير المال في الناحية ، او هو عضو ملازم في المحكمة التي تستوفي الرسم كما يشاء الكتبة والقضاة ، وتقتضيها حاجاتهم الشخصية . ولكنه على كل حال لا يتعالى على مواطنيه ، ولا يسفه عقولهم ولا تقاليدهم .

فلما تخرج من المدارس السلطانية ، ومن بعد من مدارس استامبول ، بعض الشباب وعادوا الى البلاد ، يحملون شهاداتها الطويلة ، امل الناس الواعون خيراً في العهد الجديد ، وفي علم هؤلاء « المتنورين » . لجاء جهل « روحي بك » وامثاله ، وانفضاح ذلك الجهل ، وشيوع ما يعزوه اليه تلامذته القدماء ، طعنة يسددها المغرضون الى صميم آمال الناس وايمانهم بالعلم والمدارس . فما كنت تستمع في المدينة الى جماعة يتحدثون الا عرضوا بذلك العلم ، وتلك المعاهد ، وآثروا صنعة على كل شهادة ، وحرفة على كل فن . . وهم يهزءون من هؤلاء الذين تنفخهم الشهادات والوظائف وترفعهم في عيون انفسهم الى مراتب فوق مرتبة البشر .

مرت هذه الذكريات القريبة منها والبعيدة امام ناظري روحي بك ، وقد جلس على سريره يحرر الى زوجته وصيته الاخيرة ، قبل ان يتجرع السم الذي اعده ليضع به حداً لآلام نفسه وسلسلة اخفاقه .

فقد استقال المدير منذ اشهر وتقاضى مايعود اليه من تعويضات عن خدماته السابقة . ولكنه لم يشأ ان ينزوي في منزله يعدد الايام ويدخن اللفائف ، فعل المتقاعدين من الموظفين ، بل خرج الى حياة العمل الحر ، في صعيد التجارة ، وهو يرجو ان يعوض نفسه عما خسره من شبابه واياه على مقاعد التعليم فوجد كثيراً من هؤلاء السماسرة الذين يرحبون بمشاركة امثال « البك » وبنزولهم السوق . فذاق الرجل منهم ومن احابيلهم ما كره اليه الحياة بعد ان كان لايام خلت ملؤه الامل بغد تتراقص الجنيات على وجهه البسام .

وراح الرجل ، وقد جلس على سريره يحبر وصيته الاخيرة بيد ترتجف وعينين مخضلتين ، فيكتب كلمة ليشطب عشرا ، ثم يبدو له فيمزق الورقة قطعاً كانتي تنثر على الرؤوس في الاعياد وحفلات المساخر ، هادئاً كل الهدوء ، تتزاحم الذكريات في رأسه وحول عينيه وفي قلبه .

فيرى روحي صفحات صباه تنشر بين يديه من جديد ، وكأنها صفحة يومه لم تمسها الخمسون من السنين العابرة بسوء ، او كأنها حوادث امسه لم يصبها من بلى الزمن الا كغبار الجبين . فهو بين اترابه صبي حبته الطبيعة ما خصت به النساء . فكان بذلك من اشقى الناس في بيئته التي نشأ فيها ، ومحيطه الذي ترعرع فيه . حتى بلغ مبلغ الرجال فارسلته الحكومة الى الاستانة — عاصمة السلطنة والخلافة — كيما يتابع في مدارسها ما ابتدأه في المكتب السلطاني في بيروت من ثقافة كانت مظاهرها ادعى الى الاعجاب من حقيقتها .

وهناك رأى روحي نفسه وحيداً فقيراً وسط عالم يزخر بالجموع البشرية على اختلاف اجناسها ولغاتها ، ويضطرب في اجواء من الترف والاناقة لم يكن لذلك الشاب بها عهد في مسقط رأسه المتواضع ولا في مرتع صباه المحدود — هذه المدينة التي لم تكن منذ خمسين سنة الا دسكرة او قرية فيحاء .

ويضطر روحي بك الى الاستخدام في احد المطاعم ، كيما يكسب ليلاً ما يساعده على الحياة ومتابعة دراسته نهاراً . فلم يتيسر له منصب ، في ذلك المطعم الكبير ، خير من منصب خادم يغسل الصحون والملاعق .

ثم تتوالى الحوادث على مخيلة الرجل ، وهو في بحران حمى اخذت تتصاعد الى رأسه كما يتعالى في عنق الزجاجة ماء يغلي . فيحس لها لهيباً في صدغيه ، وحرقاً في عينيه يبخران دمعه المترقرق وعرقه المتصبب ، فينزع نظارتيه وقد تعكرتا في موجة من خفقان قلبه فغمرت كل شيء بغشاء اسود كالليل الفاحم . ثم يرى روحي نفسه ، وقد تزوج من فتاة غره فيها تلك الشهادات التي تحملها ، والتي كانت لجان المعاهد الخاصة تمنحها كما يشاء لها الهوى والشفاعات فاذا به ينقلب بعد فترة الافراح وعهد (العسل) الى « سجين » معذب بنارين : قبح تلك المرأة في وجهها السوداني ، واستهتارها بكل ما تواضع عليه الناس في الاسر الشريفة والبيئات المستورة . ولكنه تحمل المصيبة المزدوجة بصبر عجيب ، ورحابة صدر كانت اشد ما يفتقر اليه روحي بك في معاملته الناس . وكان هذان الولدان اللذان رزقهما في مستهل حياته الزوجية التعزية الوحيدة التي تخفف عنه اعباء حياة ارادها نعماً ، وابت الاقدار الا ان تكون حلقة جديدة في سلسلة مصائبه .

ثم يمسح روحي بك عن نظارتيه ما خيل اليه انه عاق بها من غشاوة بصره ويأخذ القلم من جديد فيكتب الى تلك المرأة ، التي غادرته وحيداً في غمرة همومه وزحمة يأسه ، لتقضي سهرة من تلك السهرات الصاخبة ، في منازل اصدقائها وصديقاتها . فيضطرب القلم بين انامله وهو يثير « عاطفته » في اللحظات الاخيرة مودعاً ، ويوصيها بولديه خيراً حتى اذا انهى كتابه ختمه بقوله :

« واني اوصيك بان لا تتزوجي بعدي . فاذا اردت الا ان تفعلي فاجعلي ولدي في عهدة .. ملجأ الايتام ! رحمة بهما وبنفسك ! »

ويبدو لروحي ان مهمته كأب قد انتهت ، بعد ان انتهى من مهمته كزوج ، منذ سنين ! ولكنه يأبى ان يكل تلك المرأة الى رياح الاقدار تعبث بها وبسمعتها ، او تطال ولديه بامها ، في كنف الشائعات والتقولات . فيخط سطراً الى « رجال الامن » ينبئهم فيه بما بيته من عزم على مغادرة هذه الدنيا الى عالم لا غش فيه ولا احتيال !

ودوى مدفع (السحور) ، وامرأة البك ما برحت في سهرتها ، ينتابها بين الحين والحين انقباض لا تدري له سبباً ، وهي التي لا تدع للهم ، خارج بيتها ، سبيلاً الى نفسها ، وتردد مع كنة الحماة الظالمة في قصص العجائز . « ما انهم ولا اهتم ولا اعرف الهم من اين يجيء ؟ » وقد جلست في صدر المائدة الى جنب « الباشا » تؤاكله وتباسطه ، فيسمعها من الكلمات العذبة والثناء المغري ما يزيد

نفسها انبساطاً ، وما لم تسمعه قبل ليلتها تلك من فم رجل :

– « خانم ! انت روحي ! انت انسان عيني ! »

ولكن لا هذه الكلمات ، ولا تلك المشروبات ، ولا هاتيك المآكل كانت قادرة على ان تسري عن المرأة مـا تشعر به من انقباض يأخذ بصدرها فيعصره ، ويشد على حلقومهـا فيكاد ان يخنقها ، في جو يعبق بالعطر ، وساعات ترقص بالمرح !

ويخيل الى « الخانم » ان (المبصرة) على حق فيما زعمتهـا ، اذ نظرت في فنجانها منذ ثلاثة ايام :

– « ستنتابك مصيبة . بعد اربع او ست او عشر اشارات»

فتعد الخانم على اصابعها الايام ، وهي تخشى ان يكون موعد تلك الاشارات قد حان ، مرددة تعويذاتها وما تحفظه من الاوراد ، كما يردد الجاني عند خشبة المشنقة صلاته الاخيرة .

ويلحظ « الباشا » على الخانم ما تحاول جهدها اخفاءه عن عينيه الجاحظتين فيتساءل وكأنه يوجه حديثه الى الشموع التي تملأ المكان بنورها الرجراج الحزين :

– « ولكن ما بك يا نور عيني ومهجة قلبي ؟ »

فتجيبه الخانم ، وهي لا تلتفت اليه في اضطراب لفت اليهـا انتباه « صديقة الباشا » السابقة :

– « لا شيء سوى ... الولدين ! »

وكأن كأس السم التي تجرعها روحي قد اقضت مجلس امرأته فهبت تعتذر بوجع في الرأس اصابها فجأة ، وانصرفت تشيعها العيون في هزؤ وحقد او تسلقها الالسن باقبح النعوت .

وكان الفجر ينبثق من وراء الظلمة المنهزمة والطيور تتمخض باغاني الصباح عندما اوت « الخانم » الى منزلهـا تجرر ثوب السهرة بذيله الطاووسي ، وخيبة نفسهـا التي عكرت عليها صفو تلك الليلة الاخيرة من سهرات « الباشا » في رمضان المبارك .

عند ظهر اليوم التالي صدرت الجريدة الوحيدة التي كانت تنشر في بيروت وتحمل في صدرها خبر الفاجعة وتفاصيلها كما روتها امرأة البك ! محذرة الناس من عواقب الخمرة وما يزينه شيطانها للناس ، مستفتية العلماء في جواز دفن هذا « الزنديق » بين ظهراني المؤمنين .

وانطوت بذلك الصفحة الاخيرة من حيـاة روحي بك بين امرأته والنـاس . وبدأت صفحة جديدة لقصة عتيقة ، قصة الارملة الموسرة بين اليتيم الوارث والوصي المستثمر !

رشاد المغربي دارغوث

الاديب وكتاب الاديب

تطلب من المطالب التالية

★

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	«	السيد يوسف الجيز
النبطية	«	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	«	السيد محمد سعيد البلاغي
مرجعيون	«	السيد جميل ماضي
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد فؤاد الحاج
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
زحله	«	السيد جوزيف فرحات مطران
عاليه	«	السيد نجيب سليمان
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	السيد عبد السلام السباعي السيد توفيق الشامي
اللاذقية	«	السيد حنا نصره عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مترجي
طرطوس	«	الاستاذ صالح علي
حلب	«	السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	«	الشهباء للسيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	«	السيد صالح السيد
العراق	«	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	«	شركة فرج‌الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	«	مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة
البرازيل	«	الاستاذ توفيق ضعون سان باولو ص . ب ٧٣١

●

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة ل . س . في العراق بـ ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم

تعليق على معجم الالفاظ العامية

بقلم الشيخ احمد رضا
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

☆

للزميل العلامة الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف جهود قيمة في خدمة اللغة العربية ومن جملة ما اجاد به وافاد معجمه هذا الذي صرف على وضعه نصف قرن وقد نشر بعض امثلة منه في مجلة « الاديب » فرأيت ان اعلق على ما قرأته منها بهذه الكلمة زيادة في الفائدة قال :

أفْصَل الميت : اذا خرجت روحه من جسده وفي اللغة الفصحى افصل المولود اذا حان له ان يفطم [1] واقول المعروف عند عامتنا في جبل عامل (لبنان الجنوبي) فصل فلان ثلاثية بمعنى خرجت روحه واما افصل المولود (رباعية) فالمذكور في كتب الائمة فصل المولود عن الرضاع وافتصله اذا فطمه . والفصيل ولد الناقة اذا فُصل عن امه وقد يقال في البقر . ولم يذكر صاحب القاموس المحيط وشارحه ولسان العرب بل كل ما بيدي من كتب اللغة افصل المولود اذا حان له ان يفطم غير اقرب الموارد فهي وان صحت في القياس فانما تصح استعارتها لحينونة موته والحين قرب الهلاك واما قوله « واما الميت فيقال نزع » فانما النزع هو الجود بالحياة يقال جاد بنفسه اذا دخل في السياق أي قارب ان يقضي وفي التاج « ومن المجاز هو في النزع اي قلع الحياة . وقد نزع المحتضر ينزع نزعاً ونازع نزاعاً جاد بنفسه ويقال هو في النَّزَع بحركة اللام » . فالنزع انما يكون في دور الاحتضار وقرب الهلاك لا في الهلاك نفسه . واما فصل الثلاثية فهي هنا بمعنى خرج من الحياة أي خرجت روحه فهي بمعنى مات ، وأصل معنى الفصل في اللغة القطع واستعمل في الفطام والخروج ، وبابه اذا كان متعدياً نصر واذا كان لازماً جلس ، والفصال الفطام وهو الانقطاع عن الرضاعة .

ألوق : قال العلامة الزميل لعلها من كلمة لوقه التركية بمعنى غير متناسب [2] ويحتمل ان تكون من اللقوة (على القلب) وهي داء في الوجه يعوج منه الشدق فيميل الى احد جانبي العنق ، أو من اللوَق وهو الحمق يقال هو ألوق وهي لوقاء بمعنى احمق وحمقاء وقد فسروا الحمق بانه فساد العقل وقلته . وانه وضع الشيء في غير موضعه ، والعامة تقول لمن يضع الشيء في غير موضعه ، عقله مفتول أي معوج وفي عقله لوقان أي اعوجاج .

الباذنجان : ويسمى [3] في العربية الحيصل والانب ويسمى المغد والوغد قاله ابن البيطار .

حردبّة الجمل سنامه : مأخوذة من حردبة العجوز [3] الاحدب أي حدبة ظهره والهردبة بالهاء في اللغة العجوز كالهرشبة واشتقت العامة فعلاً فقالوا حردب ظهره . وفي اللغة حدب ظهره زيدت فيها الراء ، ولها نظائر في كلام العامة مثل قردفه بمعنى قذفه وشربكه بمعنى شبكه .

حزّق ثدي المرأة . . . وفصيحه الردّة [4] الفصيح في حزق تحزق الثدي اذا تجمع فيه اللبن واشتد ، واصل المعنى في الحزق الضيق واما الردة فهي اجتماع اللبن في الضرع وليس فيه معنى الضيق

خرط في كلامه : كذب تحريف هرّط او تحريف خاط [5]

اما خرط بمعنى كذب فلا حاجة الى تكلف التحريف فيها . وقد جاء في التاج الخرّاط الكذاب وهو من المجاز .

خوخة الباب : وفصيحها الخادعة [6]

ذكر ائمة اللغة الخوخة وفسروها بانها باب صغير كالنافذة الكبيرة وتكون بين بيتين ، فهي اذاً ليست بعامية وقد جاء في الحديث كما في النهاية لابن الاثير : لا يبقى في المسجد الا خوخة

(1) مجلة الاديب ج ١ م ٣ ص ٣٧

(2) مجلة الاديب ج ١ م ٣ ص ٣٨ (3) نفس المصدر .
(4) مجلة الاديب ج ٥ م ٣ ص ٣٦ (5) نفس المصدر .
(6) المصدر السابق ص ٣٥

ابي بكر وفي حديث آخر الا خوخة علي . ولكن الخادعة ادل على المعنى العامي المراد والخوخة اكثر استعمالاً .

خوش بوش : خوش فارسية بمعنى لطيف وجيد ، وفي التركية بوش بمعنى خـال وفارغ فتؤدي الكلمتان معنى عجيب غريب(٧) لكن على هذا التحليل يكون معنى هاتين الكلمتين جيد فارغ والاولى ان نقول ان (بوش) انما جاءت على الاتباع لخوش كما قالوا حسن بسن ، والعـامة عندنا تقول صار بينها خوش بوش أي منتهى الصداقة ورفع الكلفة ، وبعبارة مفسرة ان احدهما يستحسن كل ما يفعله الآخر ويقول له احسنت وفعلت جيداً .

داخ اذا اغمي عليه : وفصيحه سدر وهدم(٨)

ولكن داخ ايضاً فصيحة وفي لسان العرب دوّخ الوجع رأسه اداره وادخته انا فداخ .

والدوخة في البحر عند العامة هي الهُدام في الفصيح لانها دوار في الرأس .

الدبوس(٩)

جاء في كتابي العامي والفصيح في هذه المادة ما نصه :

الدبوس في الاصل واحد الدبابيس وهي المقـامع من حديد وغيره عن الائمة ، وكأنه معرب ديوز قـال في التاج والصواب ان يكون مفرده بالضم كذا ضبطه غير واحد . ثم استعير لمـا يخرم به الورق والثياب وهو ابرة موضع خرتها كرة تمنع الانفلات، وعمم لكل ما يخرم به الورق والثياب ولو لم يكن ذا كرة ، ومنه سمي ما يجمع به الشعر ويحفظ نظامه دبوساً وهذا في اللغة العقاص ، وقد فسروه كما في التاج نقلاً عن بعضهم ان العقاص مثل الشوكة تصلح به المرأة شعرها، وهو في الاصل خيط يشد به اطراف الذوائب كما في كتب الائمة .

الراسية : مـا يوضع في رأس الحصان ونحوه لحفظ لجامه او مقوده ويسمونها رشمة(١٠)

امـا عند العامة في جبل عامل فالراسية غير الرشمة ، والراسية عندهم يسمونها العذار وهو الذي تربط الرشمة برأس الدابة . ولكن الرشمة هي عندهم مـا توضع فوق انف الفرس وتحيط بلحييه ولا تكون الا سلسلة من حديد

وقد قلت في كتابي (العامي والفصيح) في مادة (رشم) ما نصه « قال صاحب التاج الرشمة ما يوضع على فم الفرس عامي .

(٧ و٨ و٩) مجلة الاديب ج ٥ م ٣ ص ٣٥
(١٠) مجلة الاديب ج ٧ م ٣ ص ٤٢

ولكنه لم يذكر مأخذها . وهي لا تزال معروفة عند العامة الى اليوم ولا تسمى رشمة حتى تكون ذات زنجير من حديد ، فاذا لم تكن كذلك فليست برشمة هذا هو المعروف في هذه الايام عندنا ، ولعلها مأخوذة من رُشمة وجه الضبع لسواد فيه . قـال في اللسان والرُشمة سواد في وجه الضبع ، لانهـا من فوق الانف على وجهه ولون الحديد اسود فهي اذاً بوضعها هذا تشبه السواد في وجه الضبع او تكون من الرثمة . قـال في القاموس وشرحه « الرثمة بياض في طرف انف الفرس او في جحفلته العليـا او كل بياض اذا اصاب الجحفلة العليا فبلغ المرسن . اه . فسمي اثر الزنجير على اعلى انف الفرس بالرثمة ، لان الحديد يؤثر في موضع وقوعه على الانف فينبت موضع اثره شعر ابيض ، فاطلقت العامة المسبب على السبب وابدلوا الثاء شيناً . ومثل هذا البدل معروف في كلام العرب مثل شلغه وثلغه اذا شدخ رأسه وقل لطشه ولطاشه ، وربما كانت دخيلة .

راز الشيء : رفعه ليعرف ثقله من خفته وفي الفصيح وزنه(١١)

لكن رازه ليست بعامية بل هي فصيحة . قال في الاساس راز الدينار رزنه ليعرف ثقله ، ومعنى رزنه كما في اللسان راز ثقله ورفعه لينظر ما ثقله من خفته ويقال شيء رزين اي ثقيل .

ربخ(١٢) الربوخ اعمّ من حضانة الدجاج لبيضها وهاكم ما جاء في (العامي والفصيح) في ذلك ويقولون : ربخت الدجاجة على بيضها اي حضنته وبركت عليه وفي ذلك معنى الاسترخاء، ويقولون ربخ فلان اذا قعد عن اعياء او كالمعيي . وفي اللغة اربخ الماشي في الرمل اذا استرخى وقال ابو الهيثم في علة تسميتهم جبلاً بزرود مربخاً . لانه يربخ الماشي فيه من التعب والمشقة فاستعمال العامة يكون من المجاز مع تحريف اربخ الى ربخ .

واما الصوص فقد جاء في كتابنا ما نصه :

الصوص الفرخ من الدجاج اول مـا ينقف عنه البيض وهي صوصة وجمعه الصيصان والفصيح النقف .

واحسب ان تسميته صوصـاً من صوته (صوصو) ولذلك يقولون صوصي اذا خرج منه هذا الصوت فهو اذاً صوصي بياء النسبة ثم خففوا بحذف ياء النسبة فقالوا صوص .

رخ المطر : وزخ اذا كان رذاذاً ولعلها من ركك السحاب اذا جاء بالمطر القليل الضعيف(١٣)

واليكم ما جاء في كتابنا العامي والفصيح « وقالوا رخة مطر وهي عند العـامليين الطس من المطر وهو الخفيف القصير الامد

(١١ و١٢ و١٣) مجلة الاديب ج ٧ م ٣ ص ٤٢

وفصيحه النخة على البدل قال في القاموس والنخة المطر الخفيف . وتعاقب الراء النون في كلام العرب مثل تنخش وترخش بمعنى تحرك اما الزخة فهي عند العامليين المطرة ذات الدفع القوي وليست المطر القليل، واصل الزخ في اللغة الدفع بشدة فالزخ غير الرخ عند العامليين .

رزق داشر : فصيحه انهب الرجل ماله نهباً[14]

اما نص كتابنا في مادة د ش ر فهو :

دشّر الدابة اذا ارسلها مطلقة في المرعى فدشرت هي، اذا كانت كذلك. ودشّر الشيء اذا تركه واهمله فدشر وهو داشر وفي اللغة جشر الدابة وجشرها، اذا ارسلها في الجشر وهو بقل الربيع وجشر الشيء تركه وتباعد عنه . والداشورة عند العامة هي الخيل والابل وغيرها تطلق في المراعي ولا ترجع الى اهلها ليلاً، وفي اللغة الجشر بالتحريك المال الذي يرعى في مكانه لا يرجع الى اهله بالليل،قال الاصمعي مال جشر لا يأوي الى اهله وكذلك القوم يبيتون مع الابل في المرعى لا يأوون بيوتهم ، وهذا هو معنى الداشورة عند العامة في هذه البلاد .

سفرن : لعلها من الصفراء فابدلوا[15] اما عامتنا فلا يبدلون وانما يقولون صفرن بالصاد اذا دار رأسه من الجوع وغلبت عليه المرة الصفراء، وربما كانت صفرن من الصفر وهو الجوع او هو حية تلتزق بالضلوع والشراسيف فتعضها ، يقولون انها تشتد على الانسان وتؤذيه اذا جاع ، كذا قال الائمة وتسمى حنش البطن او دود يكون فيه . وقد زيدت في صفرن النون كما زيدت في صيدن للاصيد ورعشن للمرتعش وضيفن للطفيلي .

سلة الفواكه : الشكيكة[16] ان اريد بها طبق الفاكهة فهي القنع والقناع حكاه ابن برى عن ابن خالويه ، وجعله صاحب اللسان مما يتخذ من عسيب النخل ، وقد اقترحت على المجمع العلمي العربي بدمشق اطلاقها على الطبق المتخذ للفاكهة يكون على موائد الطعام ، واكثر ما يكون من عسب النخل او من قصب او من خيزران ، ووافق المجمع على الاكتفاء بقنع لهذه السلة وترك القناع لما تقنع به المرأة رأسها[17]

وان اراد بالسلة اعم من ذلك فهي السلة ، لانها مفسرة بانها التي تحمل فيها الفاكهة كما في المصباح . ويكون استعمالها صحيحاً فصيحاً وهي اخف واعذب من الشكيكة .

السنارة : ويقال الصناره بالصاد الخ[18] اقول اما عامة العامليين فيلفظونها بالصاد على ما يرسمها الائمة . وقد جاء في اللسان الصنارة مخففة الحديدة الدقيقة المعقفة في رأس المغزل ، ولا تقل صنّارة (أي بالتشديد) وقال الليث الصنارة مغزل المرأة فارسي دخيل وفي القاموس معرب جنار .

شاباش لعيونه : والفعل عندهم شوبش . فهي اما عن التركية واما عن الفارسية وهو الاولى بمعنى نعما وما احسنه[19] اقول ولي في هذه رأي آخر وها هو منقولاً عن كتابي العامي والفصيح . وقالوا شوبش له والاسم الشوباش والشوبشة ، وذلك اذا اشاد به بصوت عال وهو يليح بمنديل او بطرف ثوب، لينبه على مدحة او استغاثة او انذار بهجوم عدو .

قيل انها ارمية من فعل ش ب ش بمعنى تشبث وتعلق وقاد وارشد ، ولكن تشبث وشبث به العربيتين تدلان على التعلق والتمسك وشدة اللزوم كما في التاج او مع ضعف كما في النهاية والتمسك اقوى منه . والعربية والارمية ابنتا ام واحدة ان لم نقل ان العربية هي الام او اقرب الى الام، فكيف نجعلها فرعاً والارمية اصلاً ؟ الا ان تطبيق هذا المعنى على مراد العامة من شوبش يحتاج الى تكلف، ويمكن ان تكون شوبش مأخوذة من الشربش وهو هدب الثوب كما فسره صاحب التاج ، وجعله من المولد وجمعه شرابيش وحرفت الشرابيش بكثرة الاستعمال فصارت شراريب، لاهداب الثوب والشراريب الخرج وجعلوا واحدها شرابة ، فيكون معنى شربش ألاح بالشربش ثم ابدلوا الراء بالواو .

شركل : سريانية بمعنى ربط (الخ)[20]

اما ما قلته في هذه المادة في كتابي العامي والفصيح فهو شركل الدابة اذا شد قوائمها بحبل والبعير شد شكاله بين التصدير والحقب ، وقالوا الشكال العقال وهو وثاق بين اليد والرجل جمع شُكُل وشُكْل . فزيدت فيها الراء كما زيدت في شبكه وشربكه وقذفه الفصيحة وقردفه العامية .

وربما كانت من الشرك وهو حبالة الصيد زيد فيها اللام، كما زيدت في الفصيح في خذع وخذعل البطيخ اذا قطعه قطعاً صغاراً ، وكما زيدت في جحف على نفسه بمعنى جمع وتجحفل الناس اذا اجتمعوا .

وتقول العامة شركل الدجاجة ، اذا ربط رجليها بخيط وهو من هذا ويقولون شركله اذا وضع رجله بين رجلي صاحبه وصرعه ، والفصيح في الاخير شغزبه ثم حرفتها العامة فقالت شقلبه . وقيل ان شركل ارمية من شرجل (بالجيم المصرية) بمعنى : شغل والهى وربك وعاق ودهور وورط وحدر .

النبطية احمد رضا

(14و15و16) مجلة الاديب ج ٧ م ٣ ص ٤٢ (17) المصدر المتقدم ص ٤٣

(17) مجلة المجمع العلمي العربي م ١٦ ص ١٧ (18) الاديب ج ٧ ص ٤٣

(19) مجلة الاديب ج ٨ م ٣ ص ٤٠ (20) المصدر المتقدم

العقل الكاذب

☆

كنتُ ، اذ كنت صغير العقل ، في الدنيا كبيرا
كنت ابكي ان تألمت ، وافتر سرورا
ألمح الشر قليلاً ، وأرى الخير كثيرا
كل مـا فوق الثرى يملأ عينيَّ حبورا
كنت لا ادرك في القول ، اذا مـا قلت ، زورا
أفقه الشيء كما كان ، جليلاً او حقيرا
جل مـا في الارض يبدو لي قبوراً وقصورا
فأرى الظلمة فيهـا ، ظلمة والنور نورا

•

وأراني عدت ، لمـا كبر العقل ، صغيرا
تنهش الآلام جنبي فألقاهـا صبورا
واذا هزني البشر تظـاهرت وقورا
اذكر الخير على غيري واستعدي الشرورا
عدت لا أعرف الا الزور بالقول جـديرا
عدت اعتز بمـا يزري بيَ النـاس غرورا
تتراءى لي قصور لم اعش فيهـا ، قبورا
وأرى الشهد الذي لم يحلُ في فيَّ مريرا

•

هكذا يبتدىء الطفل مع الصدق كبيرا
ويعود الشيخ بالعقل مع الكذب صغيرا

الحوماني



هذه هي حكاية المناهج ..

دعت منظمة النجادة الى محاضرة يلقيها الاستاذ عبدالله مشنوق عن « حكاية مناهج التعليم في لبنان » .

وقد روى الاستاذ مشنوق حكاية هذه المناهج وتطورها كما شاهدها : منظراً منظراً وفصلاً اثر فصل ... وبين كيف ابتدأت باستشارات فردية ثم انتقلت الى مرحلة اخرى فصدر مرسوم بتأليف لجنة لوضع منهاج جديد من ستين شخصاً ، كل واحد منهم يمثل ناحية من نواحي الثقافة ومستوى خاصاً ...

واجتمعت الاجتماع الاول ، فألقى وزير التربية ومديرها كلمتين ، وعقدت الجلسة الثانية والثالثة ، فلم تكن اكثر من مناقشات خطابية ... انتهت بتأليف لجنة فرعية لتضع الخطوط الكبرى للمناهج العتيدة .

وشعر الاستاذ مشنوق ان في اللجنة ، وكان احد اعضائها ، ميلاً للمحافظة على النظام القديم ، فكأن اللجنة تريد ان تثبت ان العهود الماضية لم تكن مظلمة كما نتصورها نحن، وان النظم القديمة صالحة ولا تحتاج الا الى تعديل طفيف .

فعارض الاستاذ مشنوق (ومعه زملاء قلائل)، اكثرية اللجنة في ثلاث قضايا خطيرة : اولاها اللغة الاجنبية التي يريدها اختيارية بين اللغتين الفرنسية والانكليزية ، ثم توحيد المناهج ، فلا يكون بعد ذلك سلمان منفصلان سلم ابتدائي للفقير يصل به الى «الكفاءة» ثم تغلق في وجهه سبل التعليم الثانوي ، وسلم آخر للغني يصل به الى الدراسة العليا . والمسألة الثالثة قضية عدد سني الدراسة الثانوية .

ولكن الاكثرية العددية تغلبت على رأي هذه الاقلية ، فقيدت الطالب بلغة اجنبية واحدة وخلقت هذين السلمين ...

. . . .

. . . . . . (مراقبة) . . . . . .

. . . .

وكان معالي وزير التربية يستمع الى المحاضرة ، فلم يشأ ان يدع المستمعين يعتقدون ان الحكومة غافلة عن هذه الامور فوقف واعلن ان آراء اللجان استشارية لا تقيد الحكومة في شيء ، وان الحكومة تهدف في اصلاحها الجديد الى توحيد المناهج ، والى الاشراف على معاهد التعليم ، الاجنبية منها قبل الوطنية ، والى خلق الروح الاستقلالية في النشء الجديد ... ورد على المحاضر في بعض النقاط وطمأن الجمهور الى يقظة الحكومة .

وصفق المستمعون لمعالي الوزير كما صفقوا للاستاذ المحاضر ، وخرجوا مسرورين من كلا الخطيبين ...

ويسدل الستار عن حكاية المناهج كما رواها الاستاذ مشنوق، وكما رد عليها ببراعة معالي الوزير ، وتستمر الحكاية الحقيقية للمناهج ، بل حكاية التربية في لبنان ، يمثلها معلمون لبنانيون مع ابنائنا الذين يتعلمون ما يشاء لهم معلموهم ، لا ما يطالبه وزيرهم ،

. . . . . (مراقبة) . . . . . .

ترى متى يسدل الستار عن هذه الحكاية ايضاً .. ؟

الادب في العراق

نشرت « الاديب » في عدد سابق مقالا بقلم « صبري الزبيدي » عن « حقيقة الوضع الادبي في العراق ، يرد فيه على مقالين سابقين نشرهما « مهدي القزاز » عن الحياة الادبية في العراق . ولم تكد تصل الاديب الى العراق حتى توالت الردود في جريدة « البلاد » على مقال السيد صبري الزبيدي ، ثم جاءنا البريد يحمل رداً من السيد مهدي القزاز على المقال نفسه .

و « الاديب » وان كانت تفسح صفحاتها لكل ما يساعد على تصوير الحياة الادبية في اي بقعة من بقاع العربية ، او على اغنائها، فانها لا توافق على نقل الكلام من هذا المجال الى مجال آخر هو اقرب الى التحدث عن « الشخصيات » منه الى ما يصدر عنهم من انتاج .

من اجل ذلك ، لم يكن بد من ان تعهد الي « الاديب » ان اجول جولة في مقال السيد قزاز وان ألخصه للقراء تلخيصاً ارجو ان لا يكون مشوهاً :

١ — كان رائدي تقديم صورة صادقة عن الادب العراقي ،

وتذكير شيوخ الادب وشبانه في العراق بان عليهم واجبات ينبغي ان ينشطوا لادائها .

٢ – ان ما اعترف به « كاتب الرد » من ان جميع الردود التي كتبت حول بحثي في صحف العراق كانت عرضية لم تف بالمرام ، دليل واضح على صدق ما بحثته ودونته عن الحياة الادبية في العراق ، ونزاهة غرضي فيما وصلت اليه من حقائق .

٣ – لم اتحامل على الدكتور مصطفى جواد ، واما ما قلته بانه تلميذ الكرملي فهذا معروف ومسجل في مجلة لغة العرب عندما كان يكتب الدكتور : (استاذي العلامة الكبير) فيجيبه العلامة انستاس الكرملي : تلميذي النجيب .

٤ – راجع كتاب الفيكونت «فيليب دي طرازي» عن الصحافة لتجد فيه صواب ما ذكرته عن ابراهيم صالح شكر و « الصفواني »

٥ – لم أتهجم على ادباء العراق وشعرائه ، كما ذكر كاتب الرد ، بل أهبت بهم للعمل في سبيل انهاض الادب العراقي ورقيه .

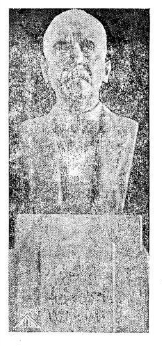
٦ – يعيب عليّ ذكري بما لاخواننا المصريين واللبنانيين والسوريين من اثر في تشجيع الحركة الادبية في العراق . واقول : انه لا يوجد عراقي حتى من انصاف المثقفين ينكر هذه الحقيقة أو لا يعترف باثرها في الحياة الادبية في العراق ، وآخر الامثلة على ذلك زيارة الحوماني ثم المازني الى العراق .

٧ – يقول ان الهدف من كتابتي هو الاشادة بجهود الاستاذ روفائيل بطي في الصحافة والادب . والواقع اني ذكرت معه كثيرين ، ومع جريدته جرائد عديدة . وقد قلت عنه « انه انغمر في التيار السياسي والنضال الحزبي ولم يعد يهتم بالحركة الادبية . . »

٨ – يقول كاتب الرد اني اهملت ذكر مجلس اعضاء نادي القلم العراقي . والواقع انني ذكرته وخصصته بكلام واف .

الملك فاروق يزيح الستار عن تمثال شوقي

تفضل جلالة الملك فاروق فأزاح الستار عن تمثال نصفي من البرونز لامير الشعراء : احمد شوقي ، اقيم في بهو دار الاوبرا الملكية بالقاهرة ثم حضر الحفلة التي اقيمت لهذه المناسبة حيث القى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف المصرية خطبة حيا فيها ذكرى شوقي واشاد بمآثر الفاروق على العلم والادب ، والقى الاستاذ سليمان نجيب قصيدة نظمها الاستاذ خليل مطران بك ثم عرض



لفيف من ممثلي الفرقة المصرية وممثلاتها فصلاً من كل من روايات « كليوبطرا » و« مجنون ليلى » و « الست هدى » ، وهي كلها من آثار امير الشعراء صاحب الذكرى .

ولا شك ان الاحتفال بهذه الذكرى لشاعر عظيم ، واقامة تمثال له في نفس الدار التي شهدت وتشاهد عظمة شوقي في المسرحيات التي مثلت على مسرحها ، وان يتوج الاحتفال بحضور الفاروق ، تكريم عام للعبقرية واداء لحقها من الاجلال والتقدير .

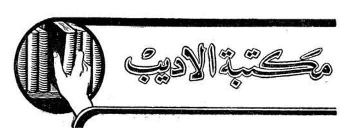
وهذه الذكرى ، كما قال الدكتور هيكل بين يدي الملك ، تعيد معاني شعر شوقي الذي عطر جو البلاد العربية اربعين سنة كاملة ، الى النفوس والقلوب ، نفوس الشباب وقلوبهم ، وتذكرهم بان الحياة ليست حرباً وجهاداً فحسب ، وليست متاعاً مادياً يتلخص في المال وما يكسب منه . وان خير ما في الحياة هو هذه المعاني السامية التي ترنم بها شوقي واضراب شوقي من النوابغ والعباقرة في امم العالم كلها ، فوجب على شبابنا ان يجعلوا من هذه المعاني جل مطمعهم وغرض حياتهم وان يجعلوا من الذين نشروا في العالم هذه المعاني السامية قدوتهم ، وان يبذلوا الجهد ليبلغوا شأو كشأو اصحابها

وفي هذه الحفلة انعم جلالة الملك على الاستاذ خليل مطران بنيشان النيل من الدرجة الثالثة . وبالبيكوية من الدرجة الثانية على كل من الاستاذين سليمان نجيب بك مدير دار الاوبرا وحسني نجيب بك مدير استوديو مصر . وهكذا كرم الفاروق الادب والفن بتكريم المحتفى به وتكريم القائمين بهذه الحفلة .

وقد وقع هذا الانعام اجمل وقع في نفس الاستاذ خليل مطران فجرى قلمه بهذه الابيات الرقيقة التي ألقيت في الحفلة نفسها :

يا مليكي فاجأتني بجميل	لم يكن مطمعي لبرقى اليه
كنت ارجو الرضى فأوليتنيه	وتفضلت بالمزيد عليه
كيف يقضي حق الملك المفدى	شاعر ما له سوى اصغريه
لست ارضى السمى لصدري بديلاً	من وسام قلدته يديه

« جوال »



تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية

كتاب لمعالي مصطفى باشا عبد الرازق – مصر

كانت الغاية بالدراسات الاسلامية في مختلف مرافق الحياة الروحية مقصورة – من حيث قيامها على المنهج العلمي الحديث – على المستشرقين. فهم وحدهم الذين كانوا ينشرون الكتب القيمة العربية القديمة في فروع العلم المختلفة، وهم وحدهم الذين توفروا على دراستها، فانتجوا ابحاثاً تفاوتت سعة وجودة وفقاً لتيسر المواد او ندرتها ونزاهة الحكم او تأثره بنزعات معينة. إما ان تكون فردية، او مسايرة لتيارات سائدة في عصر بالذات او بيئة بعينها. وكان علينا ان نبدأ بالاخذ عنهم ريثما يتوفر لنا الاستعداد الصحيح والمنهج القويم والدرجة العقلية التي تستشرف الى آفاق منها وحدها يمكن علاج هذه المسائل العلمية على نحو ناجح خصب.

وقد كان للفلسفة الاسلامية نصيب اوفر من هذه العناية، فقامت الابحاث في تاريخها مبكرة سبقت تلك المتصلة بالنواحي الاخرى من الاسلام والحضارة الاسلامية، لعدة اسباب اهمها ان التراث الفلسفي والعلمي العربي كان اهم ما خلفته الحضارة الاسلامية من آثار في اوربا، فكان من الطبيعي اذن ان تتجه العناية اليه اولاً قبل الاهتمام بالتاريخ او الادب او اللغة او فروع الدين. وسارت هذه العناية بتاريخ الفلسفة الاسلامية – او الفكر الاسلامي، بتعبير ادق – على النحو الطبيعي للتطور المنطقي الخاص بالنظر العقلي الى الاشياء. فكانت هذه الابحاث في البدء تركيبية شاملة اقرب ما يكون الى الاجمال دون التفصيل، وقد كان ذلك في مستهل القرن التاسع عشر كما نجد عند بريكر وتنمان ممن عنوا بالفلسفة عامة، لا الاسلامية وحدها. ثم تلت هذه النظرة الاجمالية نظرة تحليلية حاولت ان تتناول المدارس الفلسفية والفلاسفة تفصيلا. فكانت البحوث المتعلقة بالمدارس الفلسفية والكلامية مثل ما نجده في كتاب اشميلدرز: «بحث في المدارس الفلسفية عند العرب» (باريس سنة ١٨٤٢)، وكتاب مُنْك: «امشاج من الفلسفة اليهودية والعربية» (باريس سنة١٨٥٩). واخذ التخصص والتحليل فصارت الدراسات تتعلق بافراد، فكانت رسالة رينان عن «ابن رشد ومذهبه» (باريس سنة ١٨٥٢). لكن كان لا يزال يعوز هذا المنهجان يقوم على منهج فاولوجي دقيق يعنى ببيان مصادر هذه الفلسفة الاسلامية ويحقق كل الوسائل الميسورة من الناحية اللغوية. فقامت نهضة فيلولوجية ظاهرة الاثر بعيدة المدى في توجيه الدراسة في هذا الباب على اساس علمي قويم على يد اشتينشنيدر في كتابه عن «الترجمات العربية عن اليونانية» سنة ١٨٩٣ وعن «الفارابي»، ثم بومشترك في كتابه: «ارسطو عند العرب والسريان» (ليبتك سنة ١٨٩٦) الى جانب النشرات العديدة للرسائل الفلسفية والكتب الرئيسية التي ألفها الفلاسفة العرب كرسائل للكندي التي طبعها البينو ناجي ورسائل للفارابي التي نشرها ديترتص، و«اشارات» ابن سينا التي نشرها فورجيه، فضلا عن نشرات كتب الطبقات مثل الشهرستاني والقفطي وابن النديم وابن ابي اصيبعة. فكان لهذه النهضة الفيلولوجية اثر ضخم في الدراسات المفردة التي كتب في النصف الثاني من القرن الماضي ومستهل هذا القرن: اذ كان من ثمرتها دراسات تفصيلية عن كبار الفلاسفة الاسلاميين من ناحية، ومن ناحية اخرى هيأت السبيل للقيام بالخطوة الثالثة في التطور المنطقي للنظرة العقلية، ونعني بها القيام بعملية التركيب التفصيلي بعد التحليل. فظهر في هذه الناحية الثانية كتاب دي بور: «تاريخ الفلسفة في الاسلام» (اشتوتجرت سنة ١٩٠١) الذي يعد اول كتاب في بابه، لانه اول بحث كامل في تاريخ الفلسفة الاسلامية منذ نشأتها حتى نهايتها، فجاء على المنهج العلمي في تقصي المصادر التي استمدت منها هذه الفلسفة، وتتبع ادوارها مرحلة بعد مرحلة – على ما يشوب هذا كله من نقص وتعثر لا حيلة للمؤلف فيهما لان الدراسات المفردة كانت لا تزال قليلة من ناحية، وهي من اهم ما يجب ان يعتمد عليه واضع تاريخ عام، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى كان اغلب النصوص الرئيسية لا يزال مطوياً في بطون خزائن الكتب، فلم يكن في هذا النقص درك عليه.

وكان طبيعياً، وهذه الابحاث كلها قد قام بها اوربيون، ان تأتي متأثرة بنزعاتهم واتجاهاتهم، لان كل باحث انما يسلك في بحثه مسلكاً يمليه عليه جهازه التحليلي الخاص. لذا اتسمت بسمات

معلومة ظاهراتها صادرة عن هذه الخاصية ، اهمها : العناية بالمقارنة وبالتالي باستخلاص المصادر التي لا بد ان تكون الافكار والتيارات الروحية قد صدرت عنها ، لذا كان احتفالهم ببيان الاصول بارزاً قوياً يدفع بالبعض منهم الى الوان من المغالاة والتطرف قد لا يبررها ظاهر النص ولا منطق الحوادث وطبيعة النفوذ في التأثير من حضارة الى حضارة . فكأن لهذا الاتجاه اذن مزالقه الواضحة الى جانب فوائده البارزة . واجدر هذه المزالق بالذكر ان التطرف في استخراج المصادر والتأثرات قد ادى الى تطرف في رد الفعل ضده ، خصوصاً عند من يشعرون بانهم جرحوا في كيانهم ، فتراهم بدافع الدفاع المشروع عن النفس يذهبون مذاهب في توكيد المحلية وعدم التأثر بما هو اجنبي لا يقرها المنهج العلمي ولا يستطيع الباحث المنصف ان يغتفرها لاصحابها . لهذا فاننا نعلن هنا في صراحة تامة وبلا ادنى مواربة اننا ننكر كل هذه المحاولات الضيقة الافق التي تنكر كل تأثر اجنبي وتريد ان ترد كل شيء الى عناصر ذاتية وعوامل محلية ، كما اننا لا نقر اصحاب النزعة الاولى على مغالاتهم في اقتفاء آثار الاخذ والتأثر ، لان هذا يؤدي احياناً الى تصنع واغراب في التأويل يخرج عن حدود القصد العلمي والاستقامة في نهج البحث .

لكن لم يكن لهذه الحال ان تدوم بالنسبة الينا معشر العرب فنظل هكذا في موضع الآخذين غير المعطين المساهمين في دراستنا لتراثنا الذي يجب ان يعنينا اكثر مما يعني الاوربيين . فقمنا نساهم في هذه الحركة اولا عن طريق الرسائل المفردة عن فلاسفة الاسلام الظاهرين مثل كتاب الدكتور طه حسين بك عن « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » (باريس سنة ١٩١٨) ، و « الغزالي » (القاهرة سنة ١٩٢٣) للدكتور زكي مبارك و « بحث في الفلسفة الالهية عند ابن سينا » للدكتور جميل صليبا (باريس ١٨٢٦) و « علم التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون » لكامل عياد (برلين سنة ١٩٣٠) و « الفارابي » للدكتور ابراهيم مدكور (باريس سنة ١٩٣٥) الى جانب كتابه الاخر عن « الاورغانون الارسطالي في العالم العربي » (باريس سنة ١٩٣٥) . غير انه يلاحظ على هذه البحوث انها جميعاً رسائل جامعية ، فلم تصدر اذن عن ارادة حرة للبحث في هذا الباب ، كما انها لهذا السبب عينه تتسم بسمة مدرسية ظاهرة لبعدها عن جو البحث الحر . لهذا كله خلا اغلبها من الافكار التوجيهية ، والنظرات الواسعة الافق ، وكان في بعضها نزوع الى رد الفعل الذي اشرنا اليه منذ قليل ، مما باعد بينها وبين المنهج المستقيم .

اما العمل الناضج الواضح الاتجاه فهو هذا الكتاب الممتاز الذي نشره في هذه الايام استاذنا مصطفى باشا عبد الرازق . كان في الاصل محاضرات القاها في الجامعة في الفترة التي شغل فيها مركز استاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٣٨ ، وقصد منها الى « التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » فتحدث في القسم الاول عن مقالات الغربيين والاسلاميين في الفلسفة الاسلامية ، وفي القسم الثاني بين منهجه الجديد في درس تاريخ هذه الفلسفة واعطى نموذجاً لتطبيقه في الفقه وعلم الكلام كفرعين من فروع الفلسفة الاسلامية .

بدأ بعرض الاراء التي ادلى بها مؤرخو الفلسفة عموماً والفلسفة الاسلامية خصوصاً في مدلول الفلسفة الاسلامية وعلة وجودها ، وهل توجد حقاً فلسفة « اسلامية » ، فاذا كانت فبإذا نسميها : اسلامية او عربية . فبين رأي تنمان الذي قال عنها « انها ليست في الغالب الا شرحاً مضعفاً لمذهب ارسطو ومفسريه ، والا تطبيقاً لهذا المذهب على قواعد الدين العربي » (ص ٨) ، وبين الاسباب التي حالت دون تقدم الفلسفة عند العرب بان ارجعها الى اسباب « دينية هي القرآن وحزب اهل السنة ، وقومية هي استعداد العرب للتأثر بالاوهام وخضوع عقولهم لسلطان ارسطو » (ص٨) . وحاول ان يرد هذا الرأي الى نزعة التعصب الديني التي كانت سائدة في ذلك العصر ، واستشهد على وجود هذه النزعة بقول كوزان . وكما فعل المؤلف هذا بالنسبة الى تنمان فقد فعله ايضاً بالنسبة الى رينان فرد رأيه في انكار وجود فلسفة عربية الى تأثره بنزعة عنصرية جعلته يتعصب ضد الساميين عموماً والعرب بوجه خاص . وهو في نقده لهذه الآراء يستشهد باقوال مستشرقين آخرين مثل دوجا و مُنك ، محاولا ان يخلص من هذا كله الى القول بوجود فلسفة عربية او اسلامية ذات كيان مستقل عن الفلسفة اليونانية ببعض الاستقلال على الاقل . وعلى الرغم مما لنا من رأي خاص في هذه المسألة اعلناه منذ حين ، فاننا لا يسعنا الا الاشادة ببراعة المؤلف في التأدي الى ما اراد الوصول اليه في اسلوب من البرهان والاستدلال هادىء دقيق يتسم بالاناة والاحتياط .

ثم يتطرق من هذا الى التسمية نفسها فينتهي الى اتخاذ التسمية : فلسفة اسلامية ، بدلا من فلسفة عربية ، استناداً الى الاستعمالات القديمة عند ابن سينا والشهرستاني في تحدثهما عن « المتفلسفة الاسلامية » و « فلاسفة الاسلام » الذين ادخل ثانيهما من بينهم حنين بن اسحاق

برغم كونه مسيحياً ، كما استشهد بنصوص عند القفطي وابن خلدون والشهرزوري . وعلى الرغم من ان هذه النصوص لا تستخدم عبارة : « فلسفة اسلامية » بنصها وحروفها ، انما تتحدث عن « فلاسفة الاسلام » فحسب ، فانه لا مانع من تفضيل هذه التسمية على التسمية « بفلسفة عربية » ، وان كان لهذا التعبير وجاهة خصوصاً اذا ما حوّل عن معناه العنصري الى معناه اللغوي كما نحاول نحن اليوم ان نفعل في « الوحدة العربية » — مما يجعل ثمة نوعاً من التكافؤ في الادلة بالنسبة الى كلتا التسميتين . وعلى كل حال فلا مشاحة في التسمية أياً كانت . انما يمتاز المؤلف بانه يحاول دائماً الرجوع الى النصوص المسجلة بدلا من السعي وراء تسميات جديدة ما دامت توجد تسميات سابقة تواضع عليها المتقدمون .

واكمل هذه الناحية ببيان آراء الشرقيين في الفلسفة الاسلامية فعرض رأي صاعد الاندلسي وانكاره ان يكون للعرب فلسفة لخلو طبعهم من التهيؤ لهذا العلم (ص ٣٢) . ثم اردفه برأي الشهرستاني الذي يرى فيه المؤلف مخالفة لرأي صاعد ويؤيد هذا التفسير بكلام للجاحظ ، كما يؤيده بنصوص اخرى من الشهرستاني . وفي هذا يظهر ميزة المنهج الفيلولوجي لديه بكل وضوح واهمية هذا المنهج في الوصول الى نتائج دقيقة سليمة من المقارنات الظاهرية .

ثم يمعن في بيان نظرة المسلمين الى الفلسفة واعترافهم بسلطان الفلسفة اليونانية وماذا فهم كبار الفلاسفة المسلمين من معناها ، كما يكون في هذا تمهيد للفصل الثالث (من القسم الاول) الذي عرض فيه تعريف الفلاسفة الاسلاميين للفلسفة وكيفية تصنيفهم لها ، فتابع التعريفات والتصنيفات كما وردت عندهم وفقاً لترتيبهم التاريخي ، وفيه يظهر التطور واضحاً فبعد ان كان تصنيف الفلسفة عند الكندي والفارابي وابن سينا هو بعينه التصنيف الارسطالي المعروف ، نشاهد عند المتأخرين تصنيفات من شأنها ان تدخل علم الكلام وعلم التصوف من بين العلوم الفلسفية كما نجد ذلك عند صدر الدين الشيرازي وطاش كبري زاده . ونظراً لما هنالك من صلة بين المنطق وبين علم اصول الفقه ، يحاول المؤلف ان يدخل علم اصول الفقه — بين العلوم الفلسفية . لكن اذا كان من الممكن — في شيء من التساهل ، مع ذلك — ادخال الكلام والتصوف في الفلسفة ، فانه من العسير ادخال اصول الفقه في الفلسفة وعده جزءاً منها ، والنصوص التي اوردها المؤلف لا نظنها تنهض لتأييد هذا الاتجاه . فعلى احسن الفروض لا يمكن ادخال علم اصول الفقه الا في داخل المنهج التاريخي من بين فروع علم المناهج ، وان كان في هذا ما فيه .

وهنا يعقد المؤلف فصلا ذا اهمية خاصة في كل فلسفة تنعت بنعت ديني ، ألا وهو المتصل ببيان الصلة بين الدين والفلسفة عند الاسلاميين . وكم كان بودنا ان يتوسع فيه المؤلف فيعنى خصوصاً ببيان رأي ابن رشد لانه هو الذي عالج المشكلة بعناية ظاهرة ، بينما جاءت الاشارة اليه هنا عابرة ، وقد كان هذا اهم من تفصيل رأي الشهرستاني وابن تيمية وابن الصلاح ، لانه الاقرب الى الفلسفة والى الكلام الجدير بالتأمل والنظر . كما كان بودنا ايضاً ان يعرض للمسألة من ناحية مذهبية ، لا تاريخية فحسب .

ثم يختم هذا القسم الاول بايراد ثبت مأخوذ من « كشف الظنون » بما هنالك من كتب اسلامية في التراجم الفلسفية . وكنا نرجو من المؤلف هنا ان يبين ما نشر منها وما لم ينشر : فيدل القارىء على النشرات المختلفة لما نشر ، او على مظان وجوده ان كان لم ينشر ، فانه لم يفعل هذا الا بالنسبة الى كتاب « تاريخ حكماء الاسلام » لظهير الدين البيهقي . وكنا نرجو منه كذلك ان يضيف الى هذا الثبت العربي ثبتاً افرنجياً بأهم المصادر التاريخية للفلسفة الاسلامية .

واذا كان المؤلف قد انتهى في هذا القسم الى توكيد ذاتية التفكير الفلسفي الاسلامي ، فقد قام في القسم الثاني يلتمس مصادر هذا التفكير واصوله في العوامل المحلية ، فبدأ يستطلع « الجراثيم الاولى للنظر العقلي الاسلامي في سلامتها وخلوصها » ، ثم يساير خطاها في ادوارها المختلفة ، من قبل ان تدخل في نطاق البحث العلمي ، ومن بعد ان صارت تفكيراً فلسفياً » (ص ١٠٢) . ومن اجل هذا بدأ بدراسة حالة العرب الفكرية قبيل الاسلام معتمداً على ما اورده القرآن من ذكر لطوائف وشيع لا بد ان تكون قد وجدت في بلاد العرب في ذلك الحين وكان الاسلام الناشىء في جدال معها . وقد يكون لهذا المنهج وجاهته، الا انه كان من الخير هنا الاعتماد على بعض المصادر الاجنبية التي تناولت هذه الناحية بالبحث العلمي الدقيق فانتهت الى نتائج على جانب كبير من الخطر والاهمية ، ويكفي ان نذكر من بينها دراسات فلهوزن ، فقد كان هذا سيؤدي الى القاء ضوء ساطع على هذه الناحية القاتمة من نواحي تاريخ العقل العربي ، وتبديد كثير من الاساطير التي رواها المؤرخون العرب ، ومن الواجب ان تؤخذ بمنتهى الحيطة والحذر ، لان اسباب انتحالها او انتحال اكثرها قد

صارت اليوم معلومة بفضل تلك الدراسات التي اشرنا اليها . ونحن نحمد المؤلف على انه رجع الى شيء منها مما ورد في « دائرة المعارف الاسلامية ». وهو في ثنايا هذا قد تناول كلمة « حكمة » بمناسبة « حكماء العرب » فاستقصى اطرافها ، وجاءت من خير صفحات هذا الكتاب .

وتبين الموقف بعد ظهور الاسلام وكيف ان الاسلام لم يشجع على الجدل النظري في العقائد ، بل على العكس من هذا نفر منه ، فلم يدع اليه الا برفق وللحاجة وحدها وعلى مقدارها (ص١١٦). ويتبين هذا من تفسير معنى « الحكمة » في المواضع التي وردت بها في القرآن ، اذ قصد منها الفقه والشريعة ، ولم يقصد النظر العقلي الفلسفي ، اي قصد منها العلم الذي يتصل بالعمل ، لا العلم الخاص والنظر المجرد . وعلى هذا فان النظر العقلي الوحيد الذي دعا اليه الاسلام هو ذلك المتصل بالمسألة الشرعية . ويرى المؤلف ان هذا كان بداية التفكير الفلسفي عند المسلمين ، وان على الباحث اولا دراسة « الاجتهاد بالرأي منذ نشأته الساذجة الى ان صار نسقاً من اساليب البحث العلمي » (ص ١٢٣) ، خصوصاً وان « هذه الناحية اقل نواحي التفكير الاسلامي تأثراً بالعناصر الاجنبية » (ص١٢٣) .

لهذا كرس القسم الباقي من الكتاب (عدا الضميمة في علم الكلام) لدراسة الرأي واطواره في الاسلام ، باعتباره المرحلة الاولى من مراحل التفكير الفلسفي عند المسلمين . وقد بدأه ببيان ما قيل من آراء في مصادر الفقه الاسلامي : فعرض رأي كارادافو الذي يميل الى توكيد تأثر الفقه الاسلامي بالقوانين المسيحية المحلية في البلاد التي غزاها الاسلام وبخاصة في الشام ، واخذ عليه اهماله ذكر السنة ، بينما هو يذكر آثار الجيلين الاولين من التابعين . والواقع ان كارادافو لم يهمل ذكرها ، لان هذا هو ما قصده من « آثار » الصحابة والجيلين الاولين من التابعين ، اذ معنى « الآثار » هنا الاحاديث التي رووها عن النبي . ثم يعرض رأي جولدتسيهر في تأثر الفقه بالقانون الروماني ، والقوانين الخاصة ببعض الولايات ، ثم استمداده بعض التأثيرات في امور العبادات مما عند اليهود . ثم يتلو هذين الرأيين ببيان رأي ابن خلدون الذي يتفق مع رأييهما في القول « بان الرأي وجد بعد زمن النبوة حين لم تعد النصوص كافية لما يلزم الجماعة من قوانين » (ص ١٣٢) . ولكنه لا يتحدث عن مصادر اجنبية ، كما هو طبيعي . ولا يأخذ المؤلف بهذه الاراء ، بل برأي ادلى بمثله ابن قيم الجوزية ، وابن عبد البر من قبله هو ان « الرأي نشأ منذ عهد الاسلام الاول في ظل القرآن ورعايته » (ص١٣٤) .

والرأي حول تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني وبعض القوانين المحلية لا يزال الجدال يحتدم حوله ، وقد كان من قبل موضعاً لمناقشات حادة شائقة بين كبار المستشرقين خصوصاً حينما ظهر كتاب سنتلانا : « قواعد مذهب المالكية » (سنة ١٩٢٩) فجرى الجدل عنيفاً بين برجيشتريسر ونلينو واشترك فيه بقية المستشرقين المشتغلين بهذه الناحية ولا زالت اصداء مناقشاتهم حية تنتظر من يعرضها ويستخلص الرأي منها .

وهذا البحث في تطور الرأي يعد من اعمق وادق ما كتب في هذا الباب ، خصوصاً ما اتصل منه بالشافعي : فقد أوفى على الغاية في تحليل مذهبه الفقهي من ناحيته الفلسفية . لهذا لا نستطيع ان نفيه حقه من الثناء هنا ، فالى فرصة اخرى .

وبعد ، فلا يسعني هنا الا ان اسجل اعظم الاعجاب بهذا السفر العظيم : بدقة منهجه ، واستقامة احكامه ، وغزارة مادته ، ونصاعة افكاره ، ووحدة منحاه . فهو من غير شك دعامة كبرى لدراسة تاريخ الفلسفة الاسلامية ، وعمل فذ يطاول جلائل الاعمال في تاريخ الفلسفة ، وبالجملة ، تستطيع الفلسفة الاسلامية اليوم ان تقول انها وجدت من بين ابنائها العظام من يؤرخون لها فيبلغون الذروة في اجادة التاريخ . ولا يسعنا ، نحن الذين قرأنا هذا الكتاب حيناً في حديث معالي استاذنا الكبير ، الا ان نتقدم اليه باصدق آيات الاعجاب والاجلال لهذا العمل الرائع الممتاز .

القاهرة — عبد الرحمن بدوي

وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية

للدكتور احمد سوسه – ١٧٢ صفحة – مطبعة الحكومة – بغداد

نلاحظ في هذه الايام نشاطاً ملموساً في الدوائر المختصة بالابحاث المائية بسوريا ولبنان لدراسة كمية الامطار السنوية ومجرى الانهار ومقدار تصريفها وكيفية التحكم في توزيع المياه لاستثمار الثروة المائية من الناحيتين الزراعية والصناعية .

ولقد ادرك الكثير منا قيمة هذه الابحاث التي نحن في اشد الحاجة اليها لتدعيم تقدمنا الاقتصادي واصبح جمهور المثقفين وجماعة المعنيين بهذه الابحاث يتطلعون بشغف الى كل ما ينشر منها ويقرءون بعناية كل ما يكتب عنها لما لهذه الموضوعات من وثيق الصلة بحياتنا الاقتصادية بل قد تعدت العناية بقراءة ما يكتب عن بلادنا الى ما ينشر عن الاقطار المجاورة فان الرخاء وتوفير اسبابه في قطر يعود

بالفائدة المحققة على الاقطار المجاورة .

من اجل ذلك يسرني ان ينشر كتاب عن وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية بالعراق اذ ان الفرات يجري في الاراضي السورية مسافة تقدر بنحو ٦٨٠ ك م قبل ان يبلغ العراق فهو اذن مصدر خير وفير للقطرين الشقيقين وليس من شك ان كل ما ينشر عن هذا النهر يهم البلدين ويكون موضع عناية المختصين .

فلا غرابة اذن ان اختصصنا كتاب وادي الفرات بما يستحقه من عناية وتقدير لجلال موضوعه واهمية ابحاثه وسعة اطلاع مؤلفه وخبرته .

ومما يزيد البحث قيمة في نظري تلك الدراسات التي عرض لها المؤلف عن جريان النهر في سوريا وهذه الارقام الدقيقة التي أيد بها رأيه فقد كان لي شرف المساهمة في كيل مياه الفرات وقياس تصريفه في « دير الزور » و « الميادين » وتسجيلها في اثناء سني ١٩٣٠ و ١٩٣٣ وكذلك رافد الخابور في « راس العين » و « سوار » .

فاذا كان موضوع الكتاب يهم المثقفين عامة ورجال الابحاث المائية خاصة فانه يهمني بوجه اخص لعلاجه اموراً طالما تمنيت لو اتيح لي ان اصل بها الى غايتها .

فاما جلال موضوع الكتاب فلأنه درس لوادي الفرات وروافده ذات التاريخ المجيد فالفرات كما قال المؤلف هو « اغنى الانهار قيمة فنية وثروة علمية » وكم قامت على ضفافه من حضارات تعاقبت على مر الدهور .

يحتوي الكتاب على قسمين :

اولا — الوصف الهيدرولوجي بوادي الفرات :

مهد المؤلف لبحثه بعرض تاريخي سريع لحياة النهر وروافده من منبعه الى مصبه ثم انتقل الى درس نظام مجرى الفرات في ايام الفيضان وفي موسم الصيهود مستخدماً احصائيات قيمة من قراءات لمنسوب النهر في مختلف فصول السنة ومن رصد التصريفات في جميع محطات المراقبة ومنها يستنتج المؤلف قواعد ثابتة « للفيضان المستقر » من حيث زمن وقوعه ومدى ارتفاعه وقواعد عامة « للفيضان غير المستقر » مستندة الى درجة سقوط الامطار في المنطقة التي تغذي اعالي حوض النهر .

ومن الاحصائيات المستخدمة يتجلى نظام مجرى النهر في مختلف فصول السنة فنرى ان نهر الفرات يمتاز عن دجله ببطئه وهدوئه فهو يرتفع تدريجياً ثم يهبط تدريجياً وبذلك يمتد فيضانه الى اواخر شهر مايس . ثم يعلمنا المؤلف ان اعلى تصريف لنهر الفرات هو الذي ذرع بموقع « هيت » في شهر مايس سنة ١٩٢٩ حيث بلغ التصريف المذروع ٥٠٢٥ متراً مكعباً بالثانية وحيث بلغت سرعة مياه النهر بالثانية ثلاثة امتار ونصف . اما أوطأ تصريف فقد بلغ ١٨٠ متراً مكعباً بالثانية في شهر ايلول سنة ١٩٣١

وفي البحث عن تصريف النهر يقول المؤلف « ان تصريف مياه الفرات ثابت الى حد ما في القسم الذي يمتد من جرابلس حتى النقطة التي ترمز الى حدود الدلتا ما بين هيت والرمادي نظراً الى ان معظم ضائعات المياه التي تحصل في القسم المذكور تنحصر بالتبخر والامتصاص وبذلك يمكن القول ان الفرات في هيت ، يستوعب اعظم تصريفه » .

وهنا يجب ان اقول انني لم افهم ما يعنيه المؤلف بقوله : التصريف ثابت الى حد ما ؟ فاذا كان يقصد ان تصريف النهر في جرابلس وفي هيت متساويان فان ذلك يتعارض مع القياسات التي اجريناها في الميادين ومسكنة والتي تدل على ان الفرات يزيد تصريفه بنسبة ٥/١ بين هاتين المحطتين او تقريباً يزيد بنسبة متر مكعب واحد لكل عشرة كيلومترات بصرف النظر عما يرد الى الفرات من مياه الخابور الادنى البالغ في موسم الصيهود ١٨٠ متراً مكعباً بالثانية .

فقد يتنزل هذا التصريف الى نصف مقداره كما استنتج ذلك الدكتور صبحي مظلوم في نشرة قدمها الى اكاديمية العلوم بباريس سنة ١٩٣٩ وعرض فيها دراسة تحليلية لمناسيب الفرات .

ويقول المؤلف في بحثه عن منطقة التغذية لحوض النهر ان بعض الحسابات اجريت لفائض النهر ، فبلغ ٥٨ في المائة من الامطار الساقطة على حوض التغذية . كنا نود لو اتى المؤلف في كتابه بهذه الحسابات التي اشار اليها او على الاقل لو برّر لنا هذه النسبة بعرض جيولوجي لطبيعة تكوين حوض التغذية . فاذا لاحظنا ان نسبة الفائض الكثير من الانهار التي درست يتراوح بين ٢٠ ٠/٠ (النيل) و ٣٥ ٠/٠ فنسبة ٥٨ ٠/٠ تعتبر نسبة مرتفعة كما اعتبرها المؤلف نفسه وليس يكفي ان تكون منطقة التغذية مجردة من الشجر على حد تعبير الدكتور سوسه لتبرر هذه النسبة لحوض التغذية لنهر الليطاني يقع في منطقة جبلية جرداء ومع ذلك لم ترتفع نسبة الفائض عن ٣٢ ٠/٠ كما دلتنا عليه القياسات التي اجريناها مدة احد عشر عاماً .

وبعد ان يدرس المؤلف منطقة التغذية لنهر الفرات ينتقل الى علاقة المقاييس النسبية وابداء التنبؤات المحتملة لمناسبة الفيضان

وهذه القضية من اهم ما يشغل مهندسي الري اذ ان الحصول على ارقام مضبوطة عن الايراد النهري ومناسيبه مقدماً أي قبل حدوثها من الامور التي يتطلبها نظام الري الحديث. ولتحقيق ذلك وضعت دائرة الري العراقية منحنيات دقيقة abaque de prévision des crues مستندة الى احصائيات المقاييس لعدة سنوات تبين الاستدلال النسبي بين محطات المقاييس وتتجلى اهمية هذه المنحنيات باجلى بيان في مواسم الفيضان حيث يتسنى للدوائر المختصة ان تحيط علماً بالمناسيب المتوقع حصولها في المحطات الرئيسية على النهر قبل بضعة ايام فتتخذ الحيطة والتدابير اللازمة لدرء غوائل الفيضان.

وستزداد اهمية الحصول على هذه المعلومات في نهر الفرات بصورة خاصة بعد استعمال منفذ بحيرة الحبانية واحتمال اكمال مشروع التخزين في المستقبل لاستخدام البحيرة كخزان لاغراض الري حيث تقضي الضرورة آنذاك بوجوب معرفة مناسيب المياه المتوقعة قبل مدة كافية ليتسنى تشغيل مشروع الحبانية على الوجه الاكمل سواء أكان ذلك لغرض صد غوائل الفيضان او لغرض التخزين»

وهكذا نظمت مديرية الري العامة مخططاً يوضح علاقة المقاييس الاربعة بعضها ببعض أي مقاييس دير الزور وعانة وهيت والرمادي.

المشروعات على وادي الفرات والخابور

١ – في سوريا

يشير الكتاب الى ابحاث المهندس ادمون بشارة والدكتور صبحي مظلوم والميجر هويار من هيئة مركز تموين الشرق الاوسط التي يستنتج منها انه في الامكان ان تصبح الجزيرة عنابر لسوريا ومورداً لجاراتها تمدها بالوف الاطنان من الحبوب كما يتيسر تحسين منطقتها حتى تكفل انتاج كميات تتراوح بين نصف مليون وثلاثة ارباع مليون طن كل عام.

ومما يدعو الى الاعتبار ان المعلومات الهيدروليكية المتوفرة عن الخابور تدل على ان الامكانيات التي ينطوي عليها هذا الرافد من حيث استغلال مياهه وتنظيم الري عليه فسيحة المجال وقد قدرت مساحة الاراضي الممكن ارواؤها منه اذا اعيد انشاء سدوده القديمة واحياء جداوله المندرسة بحوالي ٨٠٠٠٠ هكتار.

ويسرنا ان نشير الى ان الحكومة السورية باشرت اعمال احياء ري تلك المنطقة منذ سنتين.

اما المساحات التي يمكن ارواؤها من مياه الفرات في سوريا فتقدر بنحو من ٢٠٠٠٠ هكتار.

٢ – في العراق

هناك مسألتان تشغلان مهندسي الري العراقيين: الاولى ازالة غوائل الفيضان والثانية زيادة تصريف النهر في موسم الصيهود. ان بحيرة الحبانية الواقعة جنوب شرقي مدينة الرمادي قابلة لتأمين الغايتين، فهي المنطقة الوحيدة ضمن الحدود العراقية التي يمكن ان تكون منفذاً منظماً لفيضان الفرات وفي الوقت نفسه خزاناً يستخدم لتوسيع الزراعة الصيفية.

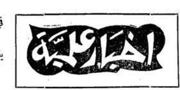
وهنا يعرض الدكتور سوسه لدراسات السير وليم ويلكوكس ويبين تطورات المشروع من زمن الدولة العثمانية الى وقتنا هذا ونحن نختصر للقارئ المعلومات الآتية عن اهمية خزان الحبانية: اما كمية المياه التي يمكن خزنها في البحيرة وتصريفها منها في موسم الصيهود فيصح تقديرها بمليار واحد من الامتار المكعبة.

وفيما يتعلق بالري فقد قدر ان الماء الزائد الذي يتوفر بواسطة خزان الحبانية يكفي في سنة اعتيادية لارواء ١٢٠٠٠٠ هكتار من الاراضي الاضافية. ومن جهة اخرى نجد لمشروع الحبانية صلة مباشرة بسدة الهندية الشهيرة ذات الاهمية العظيمة بالنسبة الى ثروة مملكة العراق ومصالحها الاقتصادية الحيوية وذلك لان سدة الهندية معرضة لخطر في حالة فيضان غير اعتيادي. فاذا انجز مشروع الحبانية ينتج عنه حماية بناء سدة الهندية من غوائل الفيضان – ذلك البناء الذي ينبغي الحرص عليه مهما كلف الامر.

والآن لا بد ان نعرض لقضية عظيمة الاهمية وهي تقسيم مياه الفرات بين سوريا والعراق وتنظيم استغلال المياه على اساس دولي وهذا النظام متوقف الى حد ما على سرعة انجاز المشروعات في كل من القطرين بمعنى ان كل مشروع يقام به الآن على الفرات سيكون حقاً ثابتاً على المياه المستغلة بواسطته ولا شك ان هذا الامر حافز نشاط الدولتين للاسراع باقامة مشروعات مشتركة تضمن تقسيم المياه قسمة عادلة بين القطرين.

وبعد فقد اتينا بموجز لأهم ما جاء في الكتاب من معلومات قيمة ودراسة وافية ونحب ان نسجل للمؤلف الفاضل شكراً خالصاً وثناء يكافئ ما بذل من مجهود وصرف من عناية حتى اخرج لنا هذا المؤلف الحافل بابحاث هي حديث اليوم وقد روى بها غلة المتعطشين للافادة من امثال هذه الجهود التي هي دعامة من دعائم الاستقلال الاقتصادي للشعوب.

ابراهيم عبد العال
رئيس قسم الابحاث المائية في الجمهورية اللبنانية



نقل الغذاء من الدم الى الجسم

بعدما تتم المعدة عملها في هضم الاطعمة وتحليل موادها الجوهرية وتفريق بعضها عن بعض يحمل الدم هذه المواد ويطوف بها في انحاء الجسم ويوزع كل مادة خاصة على الجزء الذي يحتاج اليهـا . لكن الدم يشبه السيارة التي تحمل المواد على سطحها . فهو يحتاج الى عمـال ينقلون هذه الاشياء عن سطحه الى الاماكن المخصوصة لكل منها . ولم يكن العلم قد توصل الى معرفة العمال . امـا اليوم فقد اجتمعت النقابة الطبية الاميركية في شيكاغو واصغت الى نبذة قرأها عليها الدكتور خورروزيان يعلن فيها اكتشافه لهذه الادوات النقالة التي دعاها ميكروكاريوسيت ، اي الخلايا الصغرى .

هذا الاكتشاف يرسل نوراً جديـداً على التركيب الخلوي للجسم البشري واساليب التغذية في داخله . فالخلايا التي تقوم بين الدم والجسم بمثل وظيفة الحمالين في الشوارع هي اصغر ما ظهر في الجسم من خلايا حتى الان . يبلغ قياسها ما بين جزء من الف وجزء من ٢٥ الفاً من المليمتر . ولها نواة يحيط بهـا غشاءان من البروتوبلاسما والجلد . وهي تعمل في الجسم بصفة خادمة لسائر الخلايا تغوص في نهر الدم الارجواني باحثة عما فيه من جواهر جديدة كالبيرموت والزئبق والزرنيخ وحبوب السولفا فتنقلها الى حيث تدعو الحاجة . وتحمل الدهن والشحم من القناة الهضمية . وتتمتع بخاصة الامتزاج الكيماوي بتلك الادهان وبالوروتين وغيره من المواد الحية . وهي على كل حال عناصر مهمة في الابقاء على الحيـاة والمحافظة عليها .

والدكتور خورروزيان مكتشف هذه الخلايا طبيب ارمني الاصل، غير معروف يمارس الطبابة في قرية صغيرة من ولاية وست فرجينيا وعدد سكانها ثلاثمئة . ولا بد ان يفتح له اكتشافه ابواب الشهرة بعد الان .

حماية الآلات من الرطوبة والحرارة والرصاص

انجز الاميركيون ٣ انواع جديدة من المعجونات . احدهـا يقفل اجزاء الراديو ضد الرطوبة المؤذية ويطيل جداً حياة الادوات الكهربائية فيه . وقد صنع هذا المعجون الكيماوي ينوتون فوستر في مختبرات وستهوس الاميركية ودعاه فوستريت . واتخذت القوات المحاربة تستعمله لاجهزة الراديو .

والمعجون الثاني يدعى كاركس انجزته شركة مونسانتو الكيماوية يقاوم الحرارة ويحتمل الغليان . وقد استعمله الحربيون ولا سيما في اجهزة الراديو . ويصح استعماله في ادوات الجراحة لامكان تعقيمه بالغلي على النار .

والمعجون الثالث انجزته مختبرات دوبونت يستخدم في الطائرات فيزيد حماية غرف الطائرة في اعالي الجو ومن خواصه انه لو ثقبه الرصاص لانسد الثقب حالا كما يحدث للمطاط .

دم اصطناعي

اكتشف عالمان سويديان شابان سائلا دمويا صناعيا يمكن استعماله بطريقة الحقن في الشرايين مباشرة على المبدأ نفسه الذي تجري عليه طريقة نقل الدم الحقيقي .

وقد عثر هذان العالمان على المادة المشار اليها في اثناء تجاربهما الاختبارية في السكر واطلقا عليها اسم «دكستران» ومن مميزات هذه المادة العملية انه يمكن صنعها في شكل مسحوق يسهل نقله من مكان الى آخر ثم يذاب في ماء معقم في درجة الغليان قبل الحقن به .

ويجوز استعمال هذه المادة مها كانت الفئة التي ينتمي اليها دم المراد حقنه بها .

قذيفة الصاروخ « ف رقم ٢ »

ادلت وزارة الجو البريطانية ببعض التفاصيل عن قذيفة الصاروخ المعروفة بـ « ف ٢ » فاعلنت انها محشوة بنحو الفي رطل من المتفجرات ومداها الحالي يبلغ نحو ٢٠٠ ميل وهي تقطع الجو بسرعة ٣٠٠٠ ميل في الساعة وتحلق القذيفة بحيث انها اذا انطلقت من دمشق تصل الى بغداد في اقل من خمس دقائق وهذه السرعة تفوق سرعة الصوت بكثير الى ارتفاع ستين ميلا ويبلغ وزنها الكامل كلها ١٢ طناً وطولها ٤٦ قدماً وهي ليست بحاجة الى الهواء الخارجي لتوليد الاحتراق فيها اذ انها تحتوي على خزانين ملء احدهما بالاوكسجين السائل والاخر بالكحول ولا يسمع صوتها وهي تخترق الفضاء الا بعد حدوث الانفجار وهو صوت متواصل يشبه الرعد .

في كلمات . . .

● سير الاميركيون في هذه الايام قطـار شحن من قطارات شركة سنتافي طوله نحو ميل (اي كيلو متر و ٦٠٩ امتار) من شيكاغو الى كاليفورنيا مجهزاً بادوات راديو فون لامتحان المحادثة بين مهندس القطار والسواق . كان هذان العاملان يتخاطبان قبلًا بالاشارات اليدوية لاجل تسيير القطار او وقفه ، او تعجيل سيره او تخفيفه . اما الان فقد نجح الامتحان وصار ممكناً الاستغناء عن الاشارات المربكة احياناً بالتكلم الفصيح في الراديو الصريح .

● امتحن المطاط الطبيعي والمطاط الاصطناعي متى يعود الى التقلص بعد تمديده فوجد الطبيعي اسرع الى العودة الى حالته من الاصطناعي . لكن الفرق بينهما قليل . لان الاول يقتضي واحداً من ٧ الاف من الثانية كي يعود ، والثاني لا يهمنا ولا يهمك مقدار نقصه الضئيل عن ذلك .

● يؤخذ مما ذكره الدكتور فرانك كليمبرغ استاذ التاريخ في جامعة كاليفورنيا ان قارة افريقيا التي تضم الان ١٥٠ مليون نسمة تتسع لضعفي هذا العدد . وبينما تتراوح زيادة السكان في آسيا بين ١٥ و ٢٠ مليون نسمة سنوياً فان عدد سكان افريقيا الان ثابت .

● ظهر في ٢٠ شباط سنة ٩٤٣ في حقل للذرة في المكسيك بركان اطلق عليه اسم باريكوتن . وقد بلغ ارتفاعـه في يوم واحد مئة قدم (اي ٣٠ متراً) وبلغت مساحته في مدة ثلاثة اسابيع زهاء ميل مربع .

● اعمق فجوة في العالم هي بئر للبترول موجود في ولاية تكساس الواقعة في القسم العربي من الولايات المتحدة . ويبلغ عمقه ١٥٫٣٧٩ قدماً اي ٤٥٧٣ متراً .

● في ١٧ كانون الاول ١٩٠٣ ابتدأ عهد الطيران الحديث في العـالم ففيه ارتفع الاخوان الاميركيان ولبر واورفيل رايت عن سطح الارض بطائرة اثقل من الهواء .

● في ١٩ كانون الاول سنة ١٩٢٨ طارت اول طائرة اوتوجيرو بدون محرك .

مادة جديدة لعزل الكهرباء

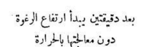


مزيج الفينيك والراتنج يذر في اناء زجاجي

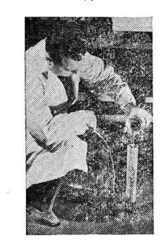
•

صنع الكيماويون في مختبر شركة الكتريك الاميركية نوعاً جديداً من البلاستيك . والبلاستيك اسم يطلق على المعجونات الكيماوية المتكاثرة التي تمزج اجزاؤها اللينة ثم تجفف فتجمد وتجيء صلبة متينة . والنوع الجديد انما

•



بعد دقيقتين يبدأ ارتفاع الرغوة دون معالجتها بالحرارة



هو مزيج من الفينيك والراتنج يشبه الدبس ولا يلبث ان يفور بشكل رغوة ترتفع الى درجة معينة ثم تجمد فتصبح مادة اخف وزناً من مثل كميتها من الزجاج او الصوف الصخري او الفلين واقل قابلية من هذه الثلاثة لنقل الحرارة . وتستعمل الان هذه المادة في المصنوعات الحربية لاغراض لاتزال مكتومة . لكنها ستكون بعد الحرب ذات فوائد كثيرة في اشغال سلمية متعددة اخصها عزل التيار



يستمر الارتفاع عمودياً بمعدل سنتمترين ونصف كل ثانية محتاجاً الى سند

الكهربائي والحرارة . ومزيجها الاصلي يفور الى ما يقارب ثلاثين ضعفاً من حجمه . والحرارة التي يقتضيها للفوران تنبثق من داخله . واذا بلغ درجته النهائية في العلو جمد من تلقاء ذاته بدون وسيلة خارجية كغيره . اما وزنه فنحو ٣٣ مرة اخف من الماء . وكل قدم مكعب منه يزن كيلوغراماً واحداً .



اصبح المزيج كله رغوة ثابتة في الجو لا تحتاج الى سند

•

هذه الفتاة ترفع بكل سهولة بيديها كرة مدارها متران وربع من هذا البلاستيك الخفيف



مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

لندن ١ كانون الاول ١٩٤٤ – فتح الامريكيون المنفذ المؤدي الى سهل كولونيا باستيلائهم على لانجويجي التي تعتبر آخر مركز الماني للطرق في غربي الرور .

لندن – هاجمت ٢٠٠٠ قاذفة قنابل امريكية وبريطانية مصانع تكرير البترول في مزبورج وشمالي المانيا .

موسكو ٢ – وصل الجنرال ديغول الى عاصمة الاتحاد السوفياتي .

اثينا ٣ – وقعت اصطدامات دامية في اثينا بين انصار الحكومة وبين قوات المقاومة وقد لجأ الفريقان الى استعمال الرشاشات الثقيلة فسقط قتلى وجرحى من الفريقين واعلنت الاحكام العرفية في اليونان وتوقف الراديو والصحافة . وسبب هذه الاصطدامات اصرار رئيس حزب الاحرار على استقالة باباندريو من رئاسة الوزارة ويطالب بتشكيل حكومة تشترك فيها جميع الاحزاب .

لندن ٥ – دخل الحلفاء مدينة سلستادت واحتل الفرنسيون في الفوج مرتفعات جديدة تشرف على ممر شلوشت . وفي اللورين وصل الجيش الاميركي الثالث الى السار واحتل نصف سارلوي .

موسكو ٧ – انتهت المباحثات بين ستالين والجنرال ديغول .

برن – امرت القيادة الالمانية قواتها في الفوج وسهل الالزاس وجنوب السار بان تتراجع الى خط سيغفريد .

اثينا – بدأ الهجوم العام على قوات المقاومة في اليونان وقد احتلت القوات النظامية المكتب المركزي للحزب الشيوعي .

لندن ٨ – تناقش اليوم مجلس العموم البريطاني في حالة اوروبا بوجه عام ولا سيما الحالة في اليونان وايطاليا وبلجيكا . والقى المستر تشرشل بياناً خطيراً عن سياسة الحكومة في بلدان اوروبا المحررة والمعادية وطرح الثقة على اساس تصرفات حكومته فنالها بالاكثرية .

روما – نجح بونومي اخيراً في تأليف الحكومة الايطالية الجديدة . وتضم وزارته عناصر من الديمقراطيين والاحرار والشيوعيين .

لندن – توغل الجيش الاميركي الثالث مسافات كبيرة داخل استحكامات سيغفريد التي تحمي حوض السار الجبوي . ويدور القتال في شوارع فورباخ التي تبعد ٧ كيلومترات عن ساربروك .

تشونغ كنغ – احتل اليابانيون مدينة « تويون » التي تبعد ٨٠ كيلومتراً عن كوينغ .

بيروت – اعترفت البرازيل باستقلال لبنان . وقد قدم قنصل البرازيل العام في بيروت الى رئيس الجمهورية اللبنانية رسالة من رئيس الولايات المتحدة البرازيلية تتضمن هذا الاعتراف .

واشنطن ٩ – قابل اللورد هاليفاكس سفير بريطانيا في واشنطن ناظر الخارجية الاميركية ستاتينيوس . وقد قال هاليفاكس للصحافيين ان بين بريطانيا والولايات المتحدة تفاهماً جوهرياً على المسائل السياسية في اوروبا .

لندن – طهرت القوات البريطانية واليونانية حتى الان خمس مدينة اثينا .

لندن – شقت القوات السوفياتية طريقها خلال التحصينات التي تحمي شمال شرقي بودابست وتقدمت ٦٠ كيلومتراً على جبهة طولها ١١٥ كيلومتراً واحتلت مدينة « باس » على منحنى الدانوب وهي تقع على بعد ٢٢ كيلومتراً شمالي بودابست .

بيروت ١٠ – اعتدى مجهولون على النائب السيد عبد الحميد كرامه نائب طرابلس في مجلس النواب اللبناني واطلقوا عليه الرصاص .

موسكو ١١ – وصل الجيش الاحمر الى بعد ٦ اميال من شمالي بودابست

لندن ١٢ – لا يزال الثوار مسيطرين في اليونان بالرغم من القتال الذي استمر تسعة ايام .

لندن ١٣ – اخترقت القوات الكندية التابعة للجيش الثامن خط الالمان الدفاعي الواقع بين فاينزا والبحر في ايطاليا .

لندن ١٥ – دخل الجيش الاميركي السابع اراضي الريخ من شمال شرقي الالزاس .

اثينا ١٦ – لا يزال القتال مستمراً بين الثوار وبين جيش الحكومة في ضواحي اثينا .

لندن – نزلت القوات الاميركية نزولاً مفاجئاً الى البر في جزيرة ميندورو احدى جزر الفيليبين التي تقع على مسيرة ٧٥ ميلًا جنوبي مانيلا العاصمة . وهكذا شطرت الاراضي التي يحتلها اليابانيون في الفيليبين شطرين .

باريس ١٧ – شن الالمان هجوماً قوياً في ميدان الجيش السابع وتمكنوا من اختراق الخطوط الاميركية . وتدور المعارك في الاراضي البلجيكية .

القاهرة ١٨ – قدم السيد يوسف سالم وزير لبنان المفوض في القاهرة اوراق اعتماده الى جلالة الملك فاروق .

لندن ١٩ – بلغت القوات الروسية في شمال هنغاريا الحدود التشيكوسلوفاكية على جبهة طولها سبعون ميلًا شمالي ميسكولك .

لندن – انقضى اليوم الثالث على بدء الهجوم الالماني المعاكس على الاراضي البلجيكية بين « اكس لاشابل » وحدود لكسمبورغ ، على جبهة طولها ٦٠ ميلًا .

لندن ٢٠ – يضيق الجيش الاحمر الخناق على كوسيتشي مركز الخطوط الحديدية الهام شرقي سلوفاكيا .

القاهرة ٢١ – توفي في جنيف عباس حلمي خديوي مصر السابق .

بيروت ٢٢ – قدم مستر الن شون المندوب فوق العادة والوزير المفوض المطلق الصلاحية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية في لبنان اوراق اعتماده لرئيس الجمهورية اللبنانية .

دمشق ٢٣ – قدم مستر الن شون اوراق اعتماده لرئيس الجمهورية السورية .

اثينا ٢٦ – وصل تشرشل وايدن والمرشال الكسندر الى اثينا لحل مشاكل اليونان وانقاذها من الحرب الاهلية التي تتخبط فيها .

لندن ٢٧ – عقد مؤتمر اثينا بحضور مندوبي جميع الاحزاب اليونانية وبرئاسة مطران اثينا . وقد القى المستر تشرشل فيه خطبة الافتتاح .

بيروت – غادر بيروت دولة احمد الداعوق وزير لبنان المفوض في فرنسا ، واعضاء مفوضيته، متجهين الى مقر مناصبهم في باريس ومرسيليا .